المجلد الاول الجزء ٩ و ١٠ السنة الاولى

الفجر

1338

محل ادارة المجلة	اجرة الاعلانات	قيمة اشتراكها
شارع باب البنات ٤٦ بتونس	يتفق فيها مع الادارة	عن سنة ستون فرنكا

تونس - افريل وماي ١٩٢١ § الموافق رجب وشعبان ١٣٣٩

مجلة علمية عمرانية اخلاقية تصدر مرة في كل شهر

يحررها نخبة من علية الكتاب

« فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه »

« اولئك الذين هداهم الله واولئك هم الو الالباب »

« قرآن شريف »

مطبعة النهضة - نهج الجزيرة عدد ١١ - تونس

بسم الله الرحمن الرحيم

تحريم الخمر

في الولايات المتحدة

« سنريهم اياتنا في الافاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق »
سورة فصلت

« ويسئلونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس واثمهما اكبر من نفعهما » سورة البقرة

« انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون . انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل انتم منتهون » سورة العقود

الاسلام دين الفطرة والكمال . جاء بما يكفل الهناء والسعادة لكافة البشر . واتى بما فيه صلاح عقولهم وابدانهم وصيانة ارواحهم واعراضهم واموالهم . امرهم بطاعة الله وتقواه وفعل الخير واتيان المعروف وحثهم على التمسك بمكارم الاخلاق ومعالي الهمم . واوجب عليهم اقامة العدل واجراء المساوات والمعاملة بالجميل مع سائر بني الانسان . وبذلك

قرر الاسلام مسألة الاخوة العامة. ونهاهم عن المفاسد والمنكرات. وحرم عليهم الخبايث واحل لهم الطيبات. كل ذلك في سبيل مصلحتهم وسوقهم الى منهج سعادتهم في دنياهم واخرتهم. فاهتدت امة وضل اخرون

استقام المسلمون على الطريقة واقاموا شرائع الاسلام ولم يتعدوا حدود الله فانجز لهم ما وعدهم به من التمكين في الارض فسادوا وشادوا وحكموا وعدلوا ودانت لهم الممالك وخضعت لهم الامم الى ان حادوا عن الصراط السوي فسقطوا. هكذا كان وهكذا يكون. سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا

جاء الاسلام بتحريم الخمر ونزل الكتاب في شانها بحكمة وجلاء مفصحا عن الحكمة في هذا التحريم ومبينا ما في اباحتها من المضار التي تزيد عما عسى ان يكون فيها من المنافع الدنياوية | وهذا هو الميزان الشرعي في الاحكام | ودرأ المفسدة مقدم على جلب المصلحة من القواعد الاصولية في الشريعة الاسلامية.

في العصور التي حاد المسلمون فيها عن حدود شريعتهم وفسقوا عن اوامر ربهم كانت الامم الاروبية تتسابق لاقتباس الاحكام والقوانين والنظامات والاخلاق من شريعة الاسلام الملايمة للعقول السليمة والمناسبة لكل زمان ومكان. وليس ببعيد في نظري وصول ذلك اليوم الذي نرى فيه امم العالم الغربي والعالم الجديد يسيرون في جميع اعمالهم طبق الشريعة المحمدية لا ينقصهم من الاسلام الا الاعتراف بالرسالة لصاحبها عليه الصلاة والسلام

بينما نرى المسلمين يتهالكون على معاطات الخمور و يبذلون في سبيلها نفايس الاموال نرى الامم المسيحية تسعى لمقاومة تيار هاته المهلكة العظيمة فحكمائهم وادبائهم وكتابهم لا يالون جهدا في محاربة هاته الرذيلة بنشر الرسائل وتاليف الجمعيات .

وانا لا نشك انهم سينجحون و يحملون رجال حكوماتهم (وهم افراد منهم) على تنفيذ هذا الاصلاح بقوة القانون وهاهي الامة الامركية امة الغرائب والعجايب قد سبقت الى ذلك فاصدرت حكومتها قانونا في تحريم الخمور ومنع رواجها في بلادها منعا تاما ونحن ننشر ما وقفنا عليه في ذلك نقلا عن الجزء الاول من مجلة النشرة الاقتصادية المصرية عسى ان يكون لنا ولحكومتنا في ذلك عبرة وداعيا للانزجار والاتعاظ وحاديا يحدونا الى العمل بديننا القويم واحكامه الكافلة بصلاح الدارين والله الموفق وهذا ما نشرته المجلة المشار اليها . —

معلوم ان حكومة الولايات المتحدة سنت قانونا لتحريم المشروبات الروحية في بلادها تحريما عاما يقضي بمنع شرائها ، او بيعها او استيرادها ، او حيازتها ، او نقلها من مكان الى آخر ، واخذت بتنفيذه فعلا من يوم ١٦ يناير سنة ١٩٢٠ ، متجاوزة عن مصادرة ما يكون منها لدى الافراد الذين يثبتون ان تلك المقادير كانت في حيازتهم قبل اول يولية سنة ١٩١٩ ، وعينت لتنفيذ هذا القانون رجالا من البوليس السري والجهري ، ووضعت لذلك قيودا عديدة منها :

انها حظرت على ارباب الصحف والمجلات وشركات الاعلانات ، نشر اية صورة تمثل آنية او وعاء مثل القدح ، والبرميل ، وما شابههما من الاشياء التي من شانها تجديد ذكرى المشروبات الروحية ، وفرضت الجزاآت على من

يخالف قرارها في هذا الشان . واخذت تصدر المخزون منها في بلادها تحت الرقابة الشديدة .

وعرض احد اعضاء مجلس الشيوخ على المجلس مشروع قانون يقضي بمعاقبة كل امريكي يتجر في المشروبات الروحية في البلاد الاجنبية . و بعدم السماح لاية باخرة بدخول منطقة المياه الامريكية وهي الثلاثة الاميال متى كان ضمن مشحونها مشروبات روحية.

اما النتائج التي نجمت عن هذا التحريم فعديدة منها : ان ثمن زجاجة الوسكى في مدينة نيو يورك بلغ ٢١٠٠ ريال . واشتد الطلب على الشراب المسمى « سيدر » وهو الذي يستخرج م التفاح ولا يعد من المشروبات الروحية اشتدادا ادى الى ارتفاع اثمانه ارتفاعا لم يعهد له مثيل ، وعلى الخصوص تلقاء عجز محصول التفاح الذي يقدر بنحو الثلث عما كان عليه في الاعوام الماضية ، وزاد الطلب ، على العنب في منطقة كاليفورنيا لان الاهالي وخصوصا الايطاليين منهم يعصرونه ويخمرونه لاستهلاكهم الشخصي داخل بيوتهم .

ولما كانت المشروبات الروحية تشمل الانبذة والبيرة فقد زاد اصحاب الفنادق اجور غرف النوم .لان منع تناول المشروبات الروحية انقص ايراداتهم ، فقد كان ايراد ستة فنادق كبرى في مدينة نيو يورك من بيع المشروبات الروحية ٦٠٠ الف ريال في السنة ، وتقدر خسائر المائتي فندق التي بالمدينة المذكورة بخمسة عشر مليون دولار سنويا ، تقديرا بعيدا عن المبالغة ، دون ان تدخل فيه الخسائر الناتجة عن نقص عدد المآدب والحفلات التي كان من المعتاد اقامتها في تلك الفنادق بغير انقطاع ، والظاهر انه قد سمح لاصحاب المطاعم الكبرى بمزج بعض الاطعمة بالكحول اثناء طهيها ، فقد جاء في خطاب رئيس لجنة منع المشروبات الروحية لهم قوله « يجب مزج الكحول بالطعام لا اضافته اليه بكميات كبيرة بحيث يسهل شربه بالملاعق . كما كانت خطة بعض المطاعم ، بل يجب ان يؤكل الكحول لا ان يشرب »

ولقد كثر سفر عشاق المشروبات الروحية الى المناطق المجاورة للولايات المتحدة مثل كوبا ، وفرموزا ، وغيرهما وهجر كبار طهاة الفنادق الكبرى نيويورك وغيرها من مدن الولايات المتحدة الى فرنسا لانهم اصبحوا بلا عمل ازاء وقوف حركة الاحتفالات والولائم على اثر تنفيذ قانون التحريم المذكور .

ومن النتائج التي لم تكن في الحسبان مهاجرة العمال الايطاليين الذين هم اغلبية عمال صناعة الحرير بمدينة باترسون معربين عن عدم رغبتهم في الاقامة ببلد تحظر عليهم شرب النبيذ الذي نشأوا على شربه منذ حداثتهم قائلين : انه ما دام المال متوفرا لديهم فهم يستطيعون الرجوع الى اوطانهم . وقد ازداد عدد المسافرين منهم زيادة ادت الى اضطراب العمل في المصانع حيث توقف كثير منها . واضطر اصحابها الى استئناف المخابرة مع ايطاليا لانشاء مصانع لتشغيل الحرير على النظام الامريكي في شمال ايطاليا ، يكون عماله من العمال الايطاليين الذين يهجرون الولايات المتحدة ، وبذلك تصبح مصانع تشغيل الحرير قريبة من الاماكن التي تنتج الحرير الخام

ولقد ازدادت ارباح معامل السكر على أثر منع المشروبات الروحية ، لان ملايين الامريكيين المولعين بشرب الخمر كانوا لا يحفلون بالحلوى ويزعمون انها لا تليق الا بالنساء والاطفال فاصبحوا اليوم ياكلون كل ما يصنع بالسكر . واشتد اقبالهم على الحلوى حتى ان الفنادق الكبيرة تثبت في قائمة الاطعمة اصنافا من الحلوى يتراوح ثمن الصنف منها بين شلن واحد وستة شلنات وهي تستعيض عن الخسائر التي لحقتها من منع بيع المشروبات الروحية بالارباح الناتجة عن بيع الحلوى ، ورفع اجور غرف النوم . وزيادة اثمان الاطعمة وكان الامريكيون لا يميلون الى تناول انواع المربى في اكلة الصباح كما يفعل الانكليز ، غير انهم ياكلون في هذه الايام كثيرا من اصناف الحلوى .

وتفنن اصحاب الفنادق الكبرى في تدبير ما يذهب سآمة نزلائها بايجاد

الالعاب المسلية كورق اللعب ، والدومينو ، والشطرنج وما شاكل ذلك ، حيث كان الامريكيون رجالا ونساء قبل تحريم المشروبات الروحية يقضون اوقات سمرهم في شرب الخمر .

ولقد كان من المنتظر ان يكون تحريم شرب الخمر من اقوى العوامل لمنع الاعتصابات . غير انه لوحظ منذ البدء بتنفيذ قانون المنع ان الاعتصابات اخذت تتوالى بدون انقطاع ، ويقول اهالي الولايات المتحدة ان لذة الحياة فقدت في منطقة فلوريدا ، وبعض المصائف الاخرى لعدم وجود المشروبات الروحية فيها ، ونظم احد الشعراء الامريكيين قصيدة ضمنها مر الشكوى من منع المشروبات الروحية قائلا :

« ان الكحول ينشط الذكاء ، ويقوي العزيمة . وسيكون هذا التحريم سببا في حرمان امريكا من النوابغ في المستقبل » .

ولقد ذكرنا ان الحكومة الاميركية عينت رجالا من البوليس مهمتهم السهر على تنفيذ قانون منع المشروبات الروحية ، وضبط وقائع مخالفات ذلك القانون ، وتقديم المخالف للمحاكمة ، فلحق الناس هناك ضيق شديد ، خصوصا لاشتراك اعضاء جمعيات منع المشروبات الروحية في مناهضة شاربيها وارشاد البوليس عنهم بالحق او الباطل ، ومما يذكر ان انكليزيا عاد من امريكا الى انكلترا اخيرا ، وكان مقيما في احدى المناطق الساري عليها قانون منع المشروبات الروحية ، فذكر : انه بينما كان موجودا باحدى المدن الكبرى التي بلغ التشديد في منع تعاطي المشروبات الروحية فيها غايته ـ سأل عما اذا كان من المستطاع الحصول على مقدار من الويسكي ؟ فاجيب : عليك بطلبه من صيدلي ، فقصد لساعته احد الصيادلة وطلب منه الوسكي ، فاحضر له قنينة وسكي كما هي دون تعديل في شكلها ، فخاطب الصيدلي بقوله : ألا تخشى ان يراك البوليس ؟ فاجاب : كلا . طالما اقوم بدفع الاتاوة المفروضة عليّ له فساله : ولكن الم تفاجأ بالتفتيش ؟ فاجاب :

نعم . ولكن رجال البوليس يتفضلون قبل تشرفهم اياي باعلاني سرا عن موعد قدومهم لزيارتي .

وقد اخذت الولايات المتحدة تصدر المخزون لديها من المشروبات الروحية الى الخارج ، وخشيت حكومة كندا ان يتهافت اهالي بلادها على استيراد مقادير وافرة منها لقربها من الولايات المتحدة ، فحظرت على الافراد استيراد مشروبات روحية من الخارج تزيد عن المقادير التي تكون لازمة منها للاستهلاك الشخصي مدة سنة واحدة .

ولقد كان من نتائج منع المشروبات الروحية في الولايات المتحدة ان تصدرت منها مقادير وافرة الى اليابان حيث اخذ باعتها يمزجونها بالماء ويبيعونها باثمان بخسة الى غواة المشروبات الروحية وشرابها من طائفة الفقراء بما ترتب عليه زيادة انتشار الخمر في اليابان زيادة اقلقت بال الحكومة .

ويقال ان تحريم المشروبات الروحية في الولايات المتحدة يوفر على اهاليها مبالغ تقدر بار بعمائة مليون جنيه في السنة كانت تنفق جزافا في المشروبات الروحية وما يتعلق بها .

وقد رأينا ان نختم هذه النبذة بشرح صورة هزلية نشرتها احدى المجلات الامريكية تعبر بها عن مبلغ تعلق الاميركيين بالمشروبات الروحية واحتيالهم على تعاطيها بمختلف الوسائل . فان الرسم يحتوي على صورة امريكي جالسا بين يدي حلاق وقد بدأ الحلاق يشرح له مزايا مزيج يمنع سقوط شعر الراس قائلا : ان هذا المزيج يحتوي على ١٢ ٪ من الكحول ، فما كادت تطرق لفظة الكحول سمعه حتى طلب منه ان يصب على راسه مقدارا وافرا من المزيج مظهرا شدة حاجته اليه لكثرة سقوط شعره ، وحينما بدأ الحلاق يصب المزيج على راسه الفت نظره الى سقف الحانوت بقوله ؟ ما هذه الحشرة ؟ فما كاد الحلاق يرفع راسه ويجيل نظره في السقف حتى كان الامريكي قد احنى راسه الى الخلف وفتح فمه ليلقى المزيج وارواء غلته منه .

سقوط الدولة الاموية

قيام الدولة العباسية

اسباب ونتائج

٣

فقدم منصور بن جمهور العراق فاخذ البيعة على الناس وعين اخاه منظور بن جمهور عاملا له على الري وخراسان . وأسر اليه عزل نصر بن يسار عامل بلاد خراسان وما وراء النهر فوصل منظور الى الري وكتم وجهته الى خراسان فارجفت الازد بخراسان ان منظور بن جمهور قادم اليها فبلغ ذلك نصرا فصرف الهدايا التي كان اعدها الى امير المؤمنين واعتق ما كان فيها من الرقيق وقسم الجواري في ولده وخاصته ووزع الانية والتحف في وجوه الناس . وغير العمال . وامرهم بحسن السيرة واشرك معه في الامر رجالا من ربيعة واليمن .

ولى يعقوب بن يحيي بن حصين على طخارستان . ومسعدة بن عبيد الله اليشكري على خوارزم . والمغيرة بن شعبة الجهضمي على قهستان .

فتوثق بذلك ممن كان ينزع الى خلافه واصر على منابذة منصور ابن جمهور حتى صرح بذلك في بعض خطبه فقال : ان جاءنا امير ضنين قطعنا يديه ورجليه . وما كان يتعرض بسوء ليزيد .

ولما بلغ منصور بن جمهور ما بلغه من تنمر نصر بن يسار بعث عليه عينا من بلقين يكاشفه باحوال خراسان . فلقيه حميد مولى نصر وكان من قبله على سكك نيسابور فضربه وهشم انفه . فقدم على نصر شاكيا

فامر له نصر بعشرين الف درهم وكسوة . وقال ان الذي هشم انفك مولي وليس بكفئي فاقصك منه . ثم اوعز الى عصمة بن عبد الله الاسدي وكان من رجال شوراه ان يخلو بالبلقيني . ويكلمه . فخلى به . فقال : ياأخا بلقين . من تاتي ؟ انا قد اعددنا قيسا لربيعة . وتميماً للازد . وفضلنا كم بكنانة ليس لكم من يكافئها ؟ ثم لقيه نصر فقال :

مابالكم كلما اصلحنا امرا افسدتموه . وبقي نصر مجافيا لمنصور حتى عزله يزيد واولى مكانه عبد الله بن عمر بن عبد العزيز فكتب اليه يقره على ما كان قبله من الاعمال . وكانت الفتنة يومئذ تدب في خراسان بين اليمانية والنزارية فخاف نصر من اشتعالها فامر بنقل خزائن المال واعطى الناس بعض اعطياتهم مما كان اعده للبعث مع الهدية السالفة . ومنع العطاء عمن كان يتوقع منه الخلاف فاعترضته فرق من الاجناد فكان اول من تكلم ورفع عقيرته في وجهه رجل من كندة فصاح به وهو مار في الطريق . العطاء العطاء . ولما كانت الجمعة توقع نصر الشغب حين الصلاة فامر رجالا من الحرس فتقلدوا السلاح وتفرقوا في المسجد وامرهم بكف المشاغبين . فلما رقي المنبر . قام الكندي فصاح العطاء العطاء . فتبعه مولى للازد يكنى ابا الشياطين وصاح ايضا العطاء العطاء ثم تلاهما حماد الصايغ . وابو السليل البكري واخذا يصرخان العطاء العطاء وتبعهما العامة من الجند فقال نصر حاذروا المعصية عليكم بالطاعة وملازمة الجماعة فاتقوا الله واسمعوا ماتوعظون به . فصعد اليه براحوز . وقال مايغني عنا كلامك هذا شيئا . ووثب الناس الى اسواقهم خشية الفتنة فغضب نصر وقال للجند ليس لكم عندي عطاء بعد يومكم هذا . وكاني بالرجل منكم

قد قام الى اخيه وابن عمه فلطم وجهه في جمل يهدى له وثوب يكساه ويقول مولاي . وكاني بكم قد نبغ من تحت ارجلكم شر لايطاق . وكاني بكم مطرحين في الاسواق كالجزر المنحورة . انه لاتطل ولاية رجل الاملوها .

اني لمكفر ومع ذلك لمظلم . وعسى ان يكون ذلك خير الي . انكم ترشون امرا تريدون فيه الفتنةولا ابقى الله عليكم . والله لقد نشرتكم وطويتكم وطويتكم ونشرتكم . فما عندي منكم عشرة . واني واياكم كما قال من كان قبلكم .

استمسكوا اصحابنا نحدو بكم ☆ فقد عرفنا خيركم وشركم

فاتقوا الله . فوالله لئن اختلف فيكم سيفان ليتمنين الرجل منكم ان يخلع من ماله وولده ولولم يكن رءاه

يا اهل خراسان انكم غمطتم الجماعة وركنتم الى الفرقة . اسلطان المجهول تريدون ؟ — وتنتظرون ان فيه لهلاككم معشر العرب وتمثل بقول النابغة الذبياني .

فان يغلب شقاؤكم عليكم ☆ فاني في صلاحكم سعيت

يا اهل خراسان . انتم مسلحة في نحور العدو فاياكم والخلاف ،

واستمر نصر متقبضا على خراسان بقوة الدهاء وحسن السياسة مع كثرة الخارجين بها عليه وجنوح من بها من قبائل العرب المجندين الى اثارة القلاقل والفتن ولازم الطاعة للامويين حتى اجلاه عنها ابو مسلم كما سنفصله بعد عند الكلام على ثوار خراسان

دهقنة مروان بن محمد ومناوراته السياسية

كانت لمروان بن محمد قائد عموم جند المروانيين على ثغور الروم ووالي ارمينية مطامع في الخلافة وهو يبدي خلافها حسبما علم من كتابه الى عظيم بيت بني مروان سعيد بن عبد الملك وكان يداخل اهل الفتن ويضامهم ويصانع رجال الاحزاب حتى يستجن بواطن الاسرار ويعرف مكان المحز من وضع السكين واعجب ما يذكر عنه في هذا الباب مواطاته ليزيد قبل الخلع مع اظهار الانكار عليه

كتب اليه يزيد يستشيره فيما عزم عليه وسير بكتابه مولاه سلم بن ذكوان ولما دخل على مروان ساله يتعرف منزلته من يزيد فقال انت مولى تباعه . او مولى عتاقه . فقال سلم بل مولى عتاقه قال ذلك افضل وادعى للثقة اذكر ما ارسلك به مولاك . فقد طاب لي ان اسمعك . فقال سلم ان رأي الامير ان يجعل لي الامان على ما اقوله . أُوافقه في ذلك او أخالفه فبذل له الامان فقام سلم — فحمد الله واثنى عليه وصلى على نبيه . وذكر ما اكرم الله به بني مروان من الخلافة ورضى العامة بهم . ثم تعرض للوليد واتى على حاله كلها من نقض العرى وتغيير القلوب وافساد نية العامة الى غير ذلك من حجج الخلع ثم سكت . وتكلم مروان فقال — سمعت ما قلت قد احسنت واصبت ولنعم الراي راي يزيد فاشهد الله اني قد بايعته ابذل في هذا الامر نفسي ومالي ولا اريد بذلك الا ما عند الله . والله ما اصبحت استزيد الوليد لقد وصل وفوض واشركني في ملكه . ولكني اشهد انه لايؤمن بيوم الحساب

ثم سأله عن حال يزيد فاكبره وعظمه فقال مروان نعم الفحل انه لفحل بني مروان ثم صرف سلم الى منزل اعده له و بعد ايام طلبه وقال له إلحق بصاحبك وقل له يقول لك مروان سددك الله امض على امر الله فانك بعين الله وقال له ان قدرت يا سلم ان تطوي او تطير فافعل فانه يخرج بالجزيرة الى ست ليالي اوسبع خارجة واخاف ان يطول امرهم فلا تقدر ان تجوز . فقال له سلم وما علم الامير بذلك ؟

فضحك مروان . وقال ليس من اهل هوى الا وقد اعطيتهم الرضا حتى اخبروني بذات انفسهم . وافقت الرجال على اهوائهم ودخلت معهم في آرائهم وضامنتهم في احزابهم حتى بذلوالي ما عندهم وافضوا الي بذات انفسهم . فودعه سلم وخرج فلما كان بآمد لقيته البرد يتبع بعضها بعضاً . واذا عبد الملك ابنه قد وثب على عامل الجزيرة فاخرجه منها ونصب الارصاد والعيون على الطريق .

ولما اتى مروان مقتل الوليد كتب الى الغمر بن يزيد اخ الوليد المخلوع يدعوه الى المطالبة بدم اخيه واظهار الخلاف ليزيد بن الوليد وهذه نسخة كتابه اليه .

« اما بعد فان هذه الخلافة من الله على مناهج نبوة رسله واقامة شرائع دينه اكرمهم الله بما قلدهم يعزهم ويعز من يعزهم . والحين على من ناواهم فابتغى غير سبيلهم . فلم يزالوا اهل رعاية لما استودعهم الله منها يقوم بحقها ناهظ بعد ناهظ بانصار لها من المسلمين

وكان اهل الشام احسن خلقه فيها طاعة واذب عن حرمه واوفاه بعهد . واشده نكاية في مارق مخالف ناكث ناكب عن الحق . فاستدرت

نعمة الله عليهم. قد عمر بهم الاسلام وكبت بهم الشرك واهله . وقد نكثوا امر الله وحاولوا نكث العهود. وقام بذالك من اشعل ضرامها وان كانت القلوب عنه متنافرة. والمطلوبون بدم الخليفة ولاية من بني اميه فان دمه غير ضائع . وان سكنت بهم الفتنة والتامت الامور فامر اراده الله لا مرد له

قد كتبت بحالك فيما ابرموا وما ترى، فاني مطرق الى ان ارى غيرا فاسطوا بانتقام وانتقم لدين الله المتبول وفرائضه المتروكة مجانة ومعى قوم اسكن الله طاعتي قلوبهم اهل اقدام الى ما قدمت بهم عليه ولهم نظراء صدورهم مترعة ممتلئة لو يجدون منزعا. وللنقمة دولة تاتي من الله ووقت موكل ...

ولم اشبه محمد اولا مروان. غير ان رايت غيرا لم اشمر للقدرية ـ (١)

(١) ظهر هذا المذهب الديني الفلسفي الاجتماعي بدمشق اوايل المائة الثانية اثر تفشي عقائد الجبر في المسلمين السالبة للاختيار . التي كانت اساسا للتربية العسكرية في القرن الاول . ثم بدت منها اعراض قبيحة خارج مصاف الجنود اوهنت شان الامة . وتعارضت مع مورد التكاليف الشرعية ومناط الثواب والعقاب فاوجب المشفقون الانصراف عنها الى ماينهض بالارادة والفكر الى المستوى اللائق بعزائم ونهضة المسلمين . فوضع فريق من اهل النظر والعلم مبدءا تعليميا اخذا بمسالك القدر الذي لا ينافي التعلق الكبير بالمقدور . فلقي في اول الامر الصدمة التي تعرض لكل راي جديد في الكون من عبيد العادة ومقلدة الالف واستمرت الحرب سجالا بين الفريقين الى ان شكل اصحاب الراي الجديد حزبا دعوه حزب القدرية . فلعب دورا هائلا في شؤون السياسة الاموية وانظم اليه عظماء الرجال ومنهم يزيد بن الوليد . وهو الذي اسقط الوليد ورشح يزيد للخلافة ثم ذهب وبقيت الفكرة مذهبا علميا يتدارسه المسلمون على توالي الدهور

ازاري واضربهم بسيفي جارحا وطاعنا يرمي قضاء الله في ذلك حيث آخذ اويرمي في عقوبة الله حيث بلغ منهم فيما رضاه .

وما اطرقني الا لما انتظر مما ياتني عنك فلا تهن عن ثارك باخيك فان الله جارك وكافيك وكفى بالله طالباً ونصيراً »

اما ما كان من امر ظهور ابنه عبد الملك بالجزيرة فانه لما عاد منصرف من غزاة الصايفة تلك السنة من بلاد الروم . فامره ان ينصرف الى الجزيرة وكان عليها للوليد عبده بن رباح الغساني وقد انصرف الى دمشق لمبايعة يزيد فصار عبد الملك الى حران وضبط مدائن الجزيرة وولاها من قبله سليمان بن عبد الله بن علاثة وكتب بذلك الى ابيه بارمينية . واشار عليه بتعجيل السير والقدوم . فهتيأ مروان للمسير واظهر في عسكره انه يريد المطالبة بدم الخليفة الشهيد المقتول .. !

فاحكم قبل سيره الامور وسد الثغور واقام الاجناد وبث العيون والارصاد . واستعمل على اهل الباب اسحاق بن مسلم العقيلي وهو راس القيسية وثابت بن نعيم (١) الجذامي من اهل فلسطين وهو رأس اليمنية وجعل عليهم حميد بن عبد الله اللخمي وكان رضا وليهم قبل ذلك فحمدوا ولايته

---

(١) كان من قواد اجناد اليمن الذين قدموا افريقية مع حنضلة بن صفوان الكلبي الذين اختارهم هشام لمعاقبة ثوار البربر على قتلهم كلثوم بن عياض القيشري فافسد امر الجند على حنضلة فامر هشام بسجنه ومكث في السجن حتى تشفع فيه مروان وضمه الى قواده . وهو من اشد الناقمين على المروانيين

ولما وصلت الاجناد الى المدائن انقلب ثابت على مروان بن محمد وجحد الصنيعة فدس الى من معه من جند الشام بالانخذال عن مروان والانضمام اليه ووعدهم ان يسرحهم ويعود بهم الى الشام فانخزلوا عن معسكرهم وفروا ليلا وعسكروا على حدة . وبلغ مروان خبرهم فبات ليلته ومن معه يتمارسون في السلاح حتى اصبح ثم خرج اليهم بمن معه . وكان مع من ثابت وانضم اليه يضعفون على من مع مروان ولما تصافوا للقتال امر مروان منادين من قبله فنادوا بين الصفين — يا اهل الشام ما دعاكم الى الانعزال وما الذي نقمتم علي فيه من سيري ؟ الم آلكم ما تحبون . واحسن السيرة فيكم والولاية عليكم . ما الذي دعاكم الى سفك دمائكم ؟

فاجابوه بصوت واحد كنا نطيعك بطاعة خليفتنا . وقد قتل . وبايع قومنا يزيد بن الوليد وخالفته انت ونحن لانريد ان نقاتل قومنا على حقهم فرضينا بولاية ثابت ليسير بنا على الويتنا حتى نرد الى اجنادنا ونلتحق باهلنا .

فامر مناديه ان ينادي . قد كذبتم الله فيما زعمتم ليس تريدون ما قلتم . وانما اردتم ان تركبوا روسكم فتغصبوا من مررتم به من اهل الذمة اموالهم واطعمتهم واعلافهم وما بيني وبينكم الا السيف حتى تنقادوا الي فاسير بكم حتى اوردكم الفرات . ثم اخلي عن كل قائد وجنده فتلحقون باهلكم .

فلما ادركوا منه الجد انقادوا اليه ومالوا له وامكنوه من ثابت بن نعيم واولاده فحبسهم بعد تجريدهم وقبض على رؤساء العصاة من الجنود وسار

بهم الى الجزيرة فلم يقدر واحد منهم على ان يشذ ولا يظلم احدا من اهل القرى ولا يرزاه شيئا الا بثمن حتى ورد حرانه ثم صرفهم الى منازلهم كما وعدهم وابقى ثابت ومن معه محبوسين .

وحين استقر بالمدينة دعى اهل الجزيرة الى الفرض . ففرض لنيف وعشرين الف من اهل الجلد منهم . وتهيا بهم للمسير الى يزيد .

فلما بلغ يزيد مسير مروان اليه اسرع بكتاب اليه يدعوه الى البيعة والطاعة . ويوليه ما كان عبد الملك بن مروان اولى اباه محمد بن مروان . من الجزيرة وارمينية والموصل واذربيجان فسكنت نفس مروان لذلك واقلع عما كان عليه وبايع يزيدا . واوفد اليه بالبيعة محمد بن عبد الله بن علاثة ونفرا من وجوه الجزيرة ولكن المنون عاجلت يزيدا قبل وصول البيعة . وبقى مروان ليس في عنقه بيعة لاحد .

مات يزيد رحمه الله في ذي الحجة سنة ١٢٦ بعد انقضاء العيد ولم يمكث في الخلافة الا خمسة اشهر واياما فكانت وفاته افدح رزء على الدولة الاموية حيث كانت في ابان الفتوق والاحداث بعد ان تمكن ببصيرته من تلافيها واستمال الناقمين وحول الغضب العام الى القناعة والرضى بعد النفور . ولو افسح الله في ايامه لاعاد الدولة الى احسن ما كانت عليه باعصر شبابها على عهد عميه الوليد وسليمان ولقطع عنهما اسباب الخلاف والفتن والثورات فيدوم بذلك حكم الامويين الى ماشاء الله وينجزون برنامجهم السياسي العسكري القاضي باختراق اوروبا وربط المواصلات بين الاندلس والقسطنطينية وصيرورة البحر المتوسط بحيرة

اسلامية . ولكن لحا الله المنون ما اشد ضراوتها على النابغين في الاسلام وما انكر فتكها فيهم في جميع الاعصار التي يحتاج فيها اليهم .

وكان يزيد يرشح للولاية من بعده اخاه ابراهيم وقيل انه اعهد اليه فبايعه فريق ومسك عنه فريق ومكث الامر مضطرباً مدة اربعة اشهر لم يتم له فيها امر حتى تصدع الجمع ووهى الامر واقبل مروان بن محمد من الجزيرة فخلصه وانتصب مكانه على عرش بني مروان

عود الفتوق الى الخلافة

اتى مروان بن محمد موت يزيد فارسل خلف ابن علاثة واصحابه الذين اوفدهم للبيعة فردهم من حنيج وخلف ابنه عبد الملك على الرقة في اربعين الفا وشخص بجنده الى دمشق فلما انتهى الى قنسرين . وعليها بشر ابن الوليد اخ يزيد فخرج اليه في حامية المدينة فلما التقيا خذل بشرا يزيد بن عمر بن هبيرة وكانت قيادة الحامية اليه فمال بها الى مروان . واسلم بشرا واخاه مسرورا ابني الوليد فقبض عليهما مروان . وسار فيمن معه وضامه من حامية قنسرين الى حمص . وكان اهلها امتنعوا بعد موت يزيد عن البيعة لابراهيم فيمن امتنع عليه فساق اليهم ابراهيم . عبد العزيز بن الحجاج في جند دمشق فحاصرهم . ولما بلغه مسير مروان اليه اقلع عنهم فخرج الحمصيون الى مروان فبايعوه . فبعث اليه ابراهيم ابن الوليد . سليمان بن هشام بن عبد الملك في ماية وعشرين الف فارس وكان مروان في نحو ثمانين الف . ولما تصافوا دعى مروان . ابن عمه

سليمان الى كف القتال وحقن الدماء . والتخلية عن ابني الوليد الحكم . وعثمان . وهما في سجن دمشق وضمن له ان لا يؤاخذ احدا بقتل ابيهما فابى عليه ذلك وجد في منازلته فاستمر بينهما القتال وكثر الفناء في الجيشين . وكان مروان مجربا مكائدا . فدعى ثلاثة من امهر قواده فامرهم بالمسير خلف صفه في ثلاثة الاف من خيله ووجه معهم فريق الفعلة معهم الفؤس والات المعمار . وقد تعبأ الصفان من جنده وجند سليمان ابن هشام . ما بين الجبلين المحيطين بالمرج . وكان بين العسكرين نهر جرار وامرهم اذا انتهوا الى الجبل ان يقطعوا الشجر فيعقدوا جسورا الى عسكر سليمان ويغيرون عليه من خلف . فلم تشعر خيول سليمان وهم مشغلون بالقتال الا بالخيل والبارقة في عسكرهم من خلفهم فلما رأوا ذلك سقط في ايديهم وانكسروا فكانت الهزيمة واستبيح عسكرهم فاخذ عليهم مروان البيعة للغلامين الحكم وعثمان وخلى عن الباقين من العساكر بعد ان اعطاهم ديناراً ديناراً . ومضى سليمان ومن معه من فواد الفل منهزمين الى دمشق فاسرع ابراهيم الى عقد اجتماع حضره كافة رؤس الدولة وقواد الاجناد وآل مروان . وهو ما يعبر عنه في اصطلاحنا العصري . بمجلس التاج الذي يلتئم في الظروف الحرجة . وهاك اسماء بعض من حضره . ابراهيم بن الوليد . عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك . سليمان بن هشام بن عبد الملك هؤلاء من بيت الملك . ومن الوزراء ورؤساء الدولة . يزيد بن خالد القسري . وابو علاقة السكسكي . والاصبغ بن ذواله الكلبي . ونظراؤهم . وتداولوا في مثال الخلافة بعد ان قرروا ان لاطاقة لهم بقتال مروان . ثم تشاوروا في امر الغلامين

المحبوسين ابني الوليد . فقال يزيد بن خالد القسري ان بقيا حيين حتى يقدم مروان ويخرجهما من الحبس ويسير الامر اليهما لم يستبقيا احدا ممن الب على ابيهما . والراي قتلهما فتقرر قتلهما بالاجماع واناطوا التنفيذ ليزيد فارسل يزيد القسري قائدا من طرفه في عدة من الجند فقتل الغلامين .

ثم دهمت خيول مروان المدينة فتغيب عنها ابراهيم بن الوليد وانهب سليمان بن هشام ما كان في بيت المال من النقود . قسمها فيمن بقي معه من الجنود وخرج من المدينة .

فثار بها موالي الوليد بن يزيد وهجموا على دار عبد العزيز بن الحجاج فقتلوه . وفي تلك الساعة اقبل على المدينة مروان بن محمد ونزل بقصر الخلافة فامر باحضار ابي محمد السفياني فاوتي به يحجل في قيوده وكان محبوسا مع ولدي الوليد فامر بفك قيوده فقام وسلم على مروان بالخلافة وكان يسلم عليه قبل ذلك بالامرة فقال مه يا ابا محمد فقال فداك عمي وخالي يا امير المومنين انهما جعلاها لك بعدهما ابسط يدك ابايعك فبايعه وبايعه الحاضرون من امراء اجناده بالخلافة

وامر بعد ذلك باجتماع اهل الشورى فامرهم ان يختاروا ولاتهم فاختاروا لدمشق زامل ابن عمر الجبراني . ولحمص عبد الله بن شجرة الكندي وللاردن معاوية بن مروان . ولفلسطين ثابت بن نعيم الجذامي — وقد عفى عنه واخذ عنه العهود والمواثيق فانفذ الاوامر بتعيينهم و بعثهم الى ولاياتهم

ولما استوت له الولايات الشامية عاد الى مقره بحران ولم يستقر ثلاثة اشهر حتى نكث به اهل الشام

ثورة الولايات الشامية

كان الموقد لجذوة هذه الثورة الثائر المبير ثابت بن نعيم الجذامي والي فلسطين فبمجرد ما علم انقلاب مروان الى الجزيرة دعى رؤساء الكارهين لحكم المروانيين لموافقته على نكثه بيعة مروان واختيار من يرضونه فلبوه وانضموا اليه . ثم بعث نحو الف فارس عليهم الاصبغ بن ذوالة الكلبي وقواد اخرين الى حمص فاحتلوا المدينة ليلة عيد الفطر من سنة ١٢٧ - فاتى خبرهم مروان فجد في طلبهم وكان معه ابراهيم المخلوع فانتهى الى حمص ثالث يوم عيد الفطر فاحدق بالمدينة وكان جند الكلبيين قد ردموا ابوابها من الداخل ووقف مروان حذاء باب من ابوابها واشرف على جماعة من خلف السور فناداهم مناديه ما دعاكم الى النكث بعد عقد البيعة والطاعة فاجابوا انا لم نزل على بيعتنا . فقال لهم فان كنتم على ماتذكرون فافتحوا الباب . فاسرعوا اليه وفتحوه . فاقتحمه عليهم ثلاثة ءالاف من جند الناكثين . ولما كاثرتهم اجناد مروان انتهوا الى باب تدمر فخرجوا منه وكانت عليه روابط مروان فقاتلوهم عليه حتى هزموهم . واستنقذت المدينة

وتابعهم اهل الغوطة من دمشق وثاروا بعاملهم زامل بن عمرو . وولوا عليهم يزيد القسري وحاصروا دمشق واهلها فوجه اليهم مروان من حمص عشرة آلاف عليهم ابو الورد . وعمر بن الوضاح فلما دنوا من المدينة حملوا عليهم فانفرج امامهم الثوار وهزموهم وقتلوا منهم رجالا كثيرين . وكان ممن قتل يزيد بن خالد القسرى وابو علاقة .

ورحل ثابت بن نعيم عن دمشق في جند فلسطين حتى اتى مدينة

طبرية فحاصرها وعليها الوليد بن معاويه بن مروان فقاتلوه اياما فبعث مروان الى ابي الورد يمدهم والشخوص بذاته اليهم . فلما بلغ الطبريين دنوه خرجوا على ثابت ومن معه فاستباحوا عسكرهم . وانصرف ثابت الى فلسطين منهزما فجمع قومه وجنده . فلحقه ابو الورد فهزمه ثانية واسر عدة من بنيه ومضى في طلبه الى ان ظفر به بعد شهرين فسيره الى مروان فعاقبه عقابا صارما جزاء عن سوء اعماله

ولما خمدت الفتن بالشام اقبل مروان من دير ايوب الى دمشق وبايع لابنيه عبد الله وعبد الملك من بعده وزوجهما ابنتي هشام بن عبد الملك وجمع لذلك آل مروان ورؤس مضر وامراء العرب ومشهوري القواد وبعد ان ارفض موكب الاحتفال قطع على اهل الشام بعثا وولى على كل جند منهم قائدا وامرهم ان يلحقوا بيزيد بن عمر بن هبيرة . وكان قبل مسيره الى الشام وجهه في عشرين الف من اهل قنسرين والجزيرة وامره ان ينزل دوريز الى ان يصدر له الاوامر بالمسير الى الجهة التي سيعينها .

ثم انصرف مروان من الشام على طريق البرية حتى قدم الرصافة ومعه آل بني مروان فاقام بها يوما ثم شخص الى الرقة . ثم زايلها الى واسط فنزل على شاطي الفرات فمكث به ثلاثة ايام . ثم تحول الى قرقيسا حيث كان ينتضره بن هبيرة ليقدمه الى محاربة ثوار الحرورية .

ثورة الحرورية (١) بالجزيرة والعراق

ظهر بعد مقتل الوليد حروري اسمه سعيد بن بهدل الشيباني

(١) الحرورية لفة في الحرية وهو اسم لمذهب سياسي ظهر في العراق بعد انقطاع مذاهب الأزارقه والصفرية وهو اكثر ليانة وتسامح من المذهبين الاولين وغاية اصحابه نيل الحرية بازالة حكم الامويين

في ماتين من سكان الجزيرة فيهم الضحاك بن قيس الشيباني فاغتنم اشتغال مروان بفتوق الشام فخرج بالمكان المعروف بكفرتوثا . فخرج عليه بسطام البيهسي في مثل عدده من ربيعة وهو ولئن كان على راي سعيد في طلب الحرورية لكنه فارقه وتغير عليه فقصد كل واحد منهما صاحبه فلما تداني العسكران وجه سعيد بن بهدل . قائدا من طرفه اسمه الخيبري وكان فارسا معدودا هزم جيشا لمروان في بعض غاواته في نحو ماية وخمسين فارسا وامره بمباغتة بسطام فانتهى الى عسكره وهم غارون فامر فرسانه ان يجلل كل وحد منهم راسه بثوب ابيض ليعرف بعضهم بعضا اذ احمى الوطيس فبكروا عساكر بسطام فاصابوا منهم غرة فقتلوا بسطاما وجميع من معه الا اربعة عشر فلحقوا بمروان فاثبتهم في روابطه وولى عليهم رجلا منهم يقال له مقاتل اصطناعا للحرورية . ثم مضى سعيد بن بهدل بعد فوزه على خصمه نحو العراق لما بلغه عنه من تشتيت الكلمة واختلال الاجناد وقتال بعضهم بعضا . كانت المضرية مع بن الحريشي بالكوفة واليمنية مع عبد الله بن عمر بن عبد العزيز بالحيرة وهم يقتتلون بينهم بكرة وعشية . فاصيب سعيد بن بهدل بطاعون فمات واستخلف من بعده على زعامة الحزب الضحاك . فاقام بشهرزور يدعو بقايا الصفرية والشراة حتى التقطهم من كل مكان وصار في اربعة الاف وراءها قوة كافية للنهوض بطلب الحرية ضد المغتصبين.

لما هلك يزيد بن الوليد كان عامله على العراق عبد الله بن عمر فانحط مروان من ارمينية حتى نزل الجزيرة وولى العراق النضر بن سعيد الحرشي . وكان من بعض قواد عبد الله بن عمر فاغضبه ذلك فحاربه

اربعة اشهر. ثم امد مروان النضر بالغزيل في الف فاقبل الضحاك سنة ١٢٧ نحو الكوفة. فارسل عبد الله بن عمر الى النضر. هذا لا يريد احدا غيري وغيرك فهلم نجتمع عليه فتعاقدا على ذلك. واقبل بن عمر فنزل تل الفتح. واقبل الضحاك ليعبر الفرات فارسل اليه بن عمر جيشا عليه علي بن الاصبغ ليمنعه من العبور فاشار عليه عبد الله بن العباس الكندي بتمكينه من العبور. وقال ذلك اهون علينا من طلبه في اكناف الجزيرة. فارسل ابن عمر الى حمزة يكفه عن ذلك. فنزل ابن عمر الكوفة وكان يصلي في مسجد الامارة باصحابه. والنضر يصلي في ناحية اخرى باصحابه لايجامعان بعضهما حتى في الصلاة. غير انهما قد تكافئا واجتمعا على قتال الضحاك. واقبل الضحاك حين ارتد عنه حمزة حتى عبر الفرات يوم الاربعاء في رجب سنة ١٢٧ - فخف اليه جند اهل الشام من اصحاب ابن عمر والنضر قبل ان ينزلوا فاصابوا منهم اربعة عشر فارسا وثلاث عشرة امراة. ثم نزل الضحاك وضرب عسكره وعبر اصحابه واراحوا. ثم تغادوا يوم الخميس فاقتتلوا قتالا شديدا فكشفوا ابن عمر وجنوده. وقتلوا اخاه عاصما وجعفر بن العباس الكندي وكان على شرطة ابن عمر فانهزم ابن عمر وغدى يوم السبت وجنده يتسللون الى واسط. وكان ممن لحق بواسط النضر بن سعيد وجميع الوجوه من القواد وبقى ابن عمر في قلة من جنوده. فقيل له على م تقيم وقد فر الناس عنك قال اتلوم وانظر. فاقام يومين لايرى الا هاربا قد ملئت قلوبهم رعبا من الحرورية. فامر عند ذلك بالرحيل الى واسط. فنزل بها منزل الحجاج في اليمانية ونزل النضر ومن معه من القواد والمضرية ذات اليمين من

طريق البصرة وخلوا الكوفة والحيرة للضحاك فاستولى عليها

وعادت الحرب بين عبد الله بن عمر والنضر الى ما كانت عليه قبل قدوم الضحاك . يطلب النضر الى عبد الله ان يسلم اليه ولاية العراق بكتاب مروان بن محمد والمضرية تعضده ويابى عبد الله ذلك واليمانية تنصره . والضحاك يستولى على الكوفة في اثر خلافهما . فقد دخل الكوفة فعلا في شعبان السنة واستعمل عليها ملحان الشيباني . ثم اقبل منقضا في الحرورية الى واسط متبعا لابن عمر والنضر فنزل باب المضمار فلما راى ذلك ابن عمر والنضر نكلا عن الحرب فيما بينهما وصارت يدهما عليه كما كانت بالكوفة . فجعل النضر وقواده يعبرون الجسر فيقاتلون الضحاك وجنوده مع ابن عمر ثم يعودون الى مضاربهم ولايقيمون مع ابن عمر فلم يزالوا على ذلك شعبان وشهر رمضان وشوال وقتل بشر كثيرا من الجندين وابلى منصور بن جمهور في القتال مع ابن عمر بلاء اعترف له به الشراة الذين كانوا مع الحرورية

ثم بدى لمنصور ان يضامهم فقال لابن عمر ما رأيت في المحاربين مثل هؤلاء قط فلم تحاربهم وتشغلهم عن حرب مروان . اعطهم الرضا واجعلهم بينك وبين مروان . فانك ان منحتهم الرضا خلوا عنا ومضوا الى مروان فكان حدهم وباسهم عليه . واقمت انت مستريحا بموضعك هذا فان ظفروا به كان ما اردت وكنت عندهم امنا وان ظفر بهم واردت خلافه وقتاله قاتلته جاما مستريحا وارى امرهم سيعييه ويطول ويوسعونه شرا . فقال ابن عمر اتئد يامنصور ولا تعجل حتى نتلوم وننظر . فقال تنظر في اي شيء؟ وانت لا تستطيع ان تطلع معهم ولا تستقر ، وان خرجنا

لم نقم لهم ، فما انتظارنا بهم ومروان في راحة يهزأ بنا وقد كيفناه حدهم وباسهم وشغلناهم عنه ، اما انا يا ابن عمر فخارج اليهم لاحق بهم فخرج ولحق بهم وبايعهم وقال الان قد اسلمت ثم لحق بهم عبد الله بن عمر بن عبد العزيز في ءاخر شوال السنة فكان اول امير من بيت الملك انضم لاعداء التاج واخصام الملك



تاريخ فنون الحديث

(٢)

افراد الحديث بالتاليف من مبتدأ القرن الثالث

في اول هذا القرن اخذ رواة الحديث في جمعه بطريقة غير التي سلفت فبعد ان كانوا يجمعونه ممزوجا باقوال الصحابة وفتاوي التابعين اخذوا يفردونه بالجمع والتاليف ، ثم من ائمة الحديث من جمع في مصنفه كل ما روى عن الرسول (ص) من غير تمييز بين صحيح وسقيم . ومنهم من افرد الصحيح بالجمع ليخلص طالب الحديث من عناء السؤال والبحث ، وكان اول الراسمين لتلك الطريقة المثلى شيخ المحدثين محمد بن اسماعيل البخاري فجمع في كتابه المشهور ما تبين له صحته . وكانت الكتب قبله ممزوجا فيها الصحيح بالعليل بحيث لا يتبين للناظر فيها درجة الحديث من الصحة الا بعد البحث عن احوال رواته والوقوف على سلامته من العلل فان لم يكن من اهل البحث ولم يظفر بمن يتعرف منه درجته بقي ذلك الحديث مجهول الحال عنده . واقتفى اثر البخاري في ذلك الامام مسلم ابن الحجاج القشيري وكان من الاخذين عنه ثم ارتسم خطتها كثيرون

وان ذلك القرن الثالث لاجل عصور الحديث واسعدها بخدمة السنة ففيه ظهر كبار المحدثين وجهابذة المؤلفين وحذاق الناقدين وفيه اشرقت شموس الكتب الستة التي كادت لا تفلت من صحيح الحديث الا النزر اليسير والتي عليها يعتمد المشرعون وبها يعتضد المناظرون وعن محياها تنجاب الشبه وبضوءها يهتدي الضال ويبرد يقينها تلج الصدور

وبانسلاخ هذا القرن يكاد يتم جمع الحديث وتدوينه ، ويبتديء عصر ترتيبه وتهذيبه ، وتسهيله على رواده وتقريبه

وقبل ان ناتي على المشهور من كتب السنة في هذا القرن نعقد فصلا نكشف فيه عن طرق التصنيف في الحديث حتى نكون على بينة من تاليفه

(طرق التصنيف في الحديث)

للعلماء في تصنيف الحديث وجمعه طريقتان (احداهما) التصنيف على الابواب وهو تخريجه على احكام الفقه وغيره وتنويعه انواعا وجمع ما ورد في كل حكم وكل نوع في باب بحيث يتميز ما يتعلق بالصلات مثلا عما يتعلق بالصيام واهل هذه الطريقة منهم من اقتصر على ايراد ما صح فقط كالشيخين ومنهم من لم يقتصر على ذلك كابي داود والترمذي والنسائي (ثانيتهما) التصنيف على المسانيد وهو انه يجمع في ترجمة كل صحابي (١) ما عنده من حديثه سواء كان صحيحا او غير صحيح ويجعله على حدة وان اختلفت انواعه . واهل هذه الطريقة منهم من رتب اسماء الصحابة على حروف المعجم كالطبراني في المعجم الكبير والضياء المقدسي في المختارة التي لم تكمل وهذا اسهل تناولا ، ومنهم من رتبها على القبائل فقدم بني هاشم ثم الاقرب فالاقرب الى رسول الله « ص » في النسب ، ومنهم من رتبها على السبق في الاسلام فقدم العشرة ثم اهل بدر ثم اهل الحديبيه ثم من اسلم وهاجر بين الحديبية والفتح ثم من اسلم يوم الفتح ثم اصاغر الصحابة سنا وختم بالنساء . وقد سلك ابن حبان في صحيحه

طريقة ثالثة : مرتبة على خمسة اقسام وهي الاوامر والنواهي والاخبار والاباحات وافعال النبي « ص » ونوع كل واحد من هذه الخمسة الى انواع . والكشف في كتابه عسر جدا ، وقد رتبه بعض المتاخرين على الابواب وعمل له الحافظ ابو الفضل العراقي اطرافا (٢) وجرد الحافظ ابو الحسن الهيتمي زوائده على الصحيحين في مجلد

ولهم في جمع الحديث طرق اخري (منها) جمعه على حروف المعجم فيجعل مثلا

« ١ » الصحابي من لقي النبي (ص) مؤمنا به ومات على ذلك « ٢ » سياتي معنى الاطراف بعد اسطر

حديث « انما الاعمال بالنيات » في حرف الالف وقد جرى على ذلك ابو منصور الديلمي في مسند الفردوس وابن طاهر في احاديث كتاب الكامل لابن عدي (ومنها) جمعه على الاطراف وذلك بان يذكر طرف الحديث ثم يجمع اسانيده اما مع عدم التقييد بكتب مخصوصة او مع التقييد بها . وذلك مثل ما فعل ابو العباس احمد بن ثابت العراقي في اطراف الكتب الخمسة

ومن اعلى المراتب في تصنيف الحديث تصنيفه معللا بان يجمع في كل حديث طرقه واختلاف الرواة فيه فان معرفة العلل اجل انواع علم الحديث وبها يظهر ارسال بعض ما عد متصلا او وقف ما ظن مرفوعا وغير ذلك من الامور المهمة والذين صنفوا في العلل منهم من رتب كتابه على الابواب كابن ابي حاتم وهو احسن لسهولة تناوله ، ومنهم من رتب كتابه على المساند كالحافظ الكبير يعقوب ابن شيبة البصري (١) فانه الف مسندا معللا غير انه لم يتم ولو تم لكان في نحو مائتي مجلد والذي تم منه مسند العشرة والعباس وابن مسعود وعتبة بن غزوان وبعض الموالي وعمار ، ويقال ان مسند علي منه في خمس مجلدات ويقال انه كان في منزله اربعون لحافا اعدها لمن كان عنده من الوراقين الذين يبيضون المسند ، ولزمه على ما خرج من المسند عشرة آلاف دينار (خمسة آلاف جنيه مصري تقريبا) قال بعض المشايخ انه لم يتم مسند معلل قط

هذا وقد جرت عادت اهل الحديث ان يفردوا بالجمع والتاليف بعض الابواب والشيوخ والتراجم والطرق

اما الابواب فقد افرد بعض الائمة بعضها بالتصنيف ككتاب رفع اليدين في الصلاة افرده البخاري بالتصنيف ، وباب القضاء باليمين مع الشاهد افرده الدارقطني بالتصنيف واما الشيوخ فقد جمع بعض العلماء حديث شيوخ مخصوصين كل واحد منهم على انفراده فجمع الاسماعيلي حديث الاعمش وجمع النسائي حديث الفضيل بن

(١) توفي سنة ٢٦٢

عياض . واما التراجم فقد جمعوا ما جاء بترجمة واحدة من الحديث كمالك عن نافع عن ابي عمر و كسهيل بن ابي صالح عن ابيه عن ابي هريرة

واما الطرق فقد جمعوا بعض طرق الاحاديث كحديث قبض العلم جمع طرقه الطوسي وحديث « من كذب عليّ متعمدا » جمع طرقه الطبراني وغير ذلك

كتب السنة في القرن الثالث

اشهر الكتب في القرن الثالث صحيح البخاري (١) وصحيح مسلم (٢) وسنن ابي داود (٣) وسنن النسائي (٤) وجامع الترمذي (٥) وسنن ابن ماجه (٦) ومسند الامام احمد بن حنبل (٧) والمنتقى في الاحكام لابن الجارود (٨) ثم مصنف ابن ابي شيبة (٩) وكتاب محمد بن نصر المروزي (١٠) ومصنف سعيد بن منصور (١١) وكتاب تهذيب الآثار لمحمد بن جرير الطبري (١٢) وهو من عجائب كتبه ابتدأ فيه بما رواه ابو بكر الصديق و تكلم على كل حديث وعلته وطرقه وما فيه من الفقه و اختلاف العلماء وحججه و اللغة فتم مسند العشرة و اهل البيت و الموالي وقطعة من مسند ابن عباس ، والمسند الكبير لبقي بن مخلد القرطي (١٣) رتبه على اسماء الصحابة روى فيه عن الف وثلثمائة صحابي و نيف ثم رتب حديث كل صاحب على ابواب الفقه فجاء كتابا حافلا مع ثقة مؤلفه وضبطه و اتقانه ومسند عبيد الله بن موسى (١٤) ومسند اسحاق بن راهويه (١٥) ومسند عبد بن حميد (١٦) و مسند الدارمي (١٧) ومسند ابي يعلى الموصلي (١٨) ومسند ابن ابي اسامة الحارث بن محمد التميمي (١٩) ومسند ابن ابي عاصم احمد

« ١ » توفي سنة ٢٥١ « ٢ » سنة ٢٦١ « ٣ » سنة ٢٧٥ « ٤ » سنة ٣٠٣ « ٥ » سنة ٢٧٩ « ٦ » سنة ٢٧٣ « ٧ » سنة ٢٤١ « ٨ » سنة ٣٠٧ « ٩ » سنة ٢٣٥ « ١٠ » سنة ٢٩٤ « ١١ » سنة ٢٢٧ « ١٢ » سنة ٣١٠ « ١٣ » سنة ٢٧٢ « ١٤ » سنة ٢١٣ « ١٥ » سنة ٢٣٧ « ١٦ » سنة ٢٤٩ « ١٧ » سنة ٢٥٥ « ١٨ » سنة ٣٠٧ « ١٩ » سنة ٢٨٢

ابن عمرو الشيباني (١) وفيه نحو خمسين الف حديث . ومسند ابن ابي عمرو محمد بن يحيى العدني (٢) ومسند ابي هريرة لابراهيم بن حرب العسكري (٣) ومسند الامام علي لاحمد بن شعيب النسائي (٤) ومسند العنبري ابراهيم بن اسماعيل الطوسي (٥) والمسند الكبير للبخاري ومسند مسدد بن مسرهد (٦) ومسند محمد بن مهدي (٧) ومسند الحميدي (٨) ومسند ابراهيم بن معقل النسفي (٩) ومسند ابراهيم بن يوسف الهنجابي (١٠) ومسند مالك لاحمد بن شعيب النسائي «١١» والمسند الكبير للحسن بن سفيان «١٢» والمسند المعلل لابي بكر البزار «١٣» ومسند ابن سنجر «١٤» والمسند الكبير ليعقوب بن شيبة «١٥» ولم يؤلف احسن منه - لكنه لم يتم - ومسند علي بن المدني «١٦» ومسند ابن ابي عزرة احمد بن حازم «١٧» ومسند عثمان بن ابي شيبه «١٨» وكتب المسانيد كثيرة جدا وفيما ذكرنا كفاية وان اردت زيادة فانظر كشف الظنون تجد فيه بعض الحاجة

(تنبيه) كتب المسانيد دون كتب السنن في الرتبة اذ جرت عادة مصنفيها ان يجمعوا في مسند كل صحابي ما يقع لهم من حديثه صحيحا كان او سقيما ولذلك لا يسوغ الاحتجاج بما يورد فيها مطلقا واستثنى بعض المحدثين منها مسند الامام احمد بن حنبل

كتب السنة في القرن الرابع

الحد الفاصل بين المتقدمين والمتأخرين من رواة الحديث وحملته هو رأس

«١» سنة ٢٨٧ «٢» سنة ٢٤٣ «٣» سنة ٢٨٢ «٤» سنة ٣٠٣ «٥» سنة ٢٨٠ «٦» سنة ٢٢٨ «٧» سنة ٢٧٢ «٨» سنة ٢١٩ «٩» سنة ٢٩٥ «١٠» سنة ٣٠١ (١١) توفي سنة ٣٠٣ (١٢) سنة ٣٠٣ (١٣) سنة ٢٩٢ (١٤) سنة ٢٥٨ (١٥) سنة ٢٦٢ (١٦) ٢٣٤ (١٧) سنة ٢٧٦ (١٨) سنة ٢٣٩

سنه ثلثمائة وقد ابنا فيما سلف ان القرن الثالث أسعد القرون بخدمة السنة وتمحيصها ونقد رواتها وكل من أتى بعد ذلك فعالة على المتقدمين - الا قليلا - يجمع ما جمعوا ويعتمد في نقده على ما نقدوا لذلك كانت كتب السنة في القرن الثاني و الثالث تمتاز في الاكثر بأولية الجمع فيها دون الاخذ عن غيرها وهذا مادعاني الى ان افردكتب السنة في القرن الرابع بالذكر دون أن ادمجها مع كتب السنة في القرن الثالث

أشهر الكتب في القرن الرابع المعاجم الثلاثة الكبير والصغير والاوسط للامام سليمان ابن احمد الطبراني (١) رتب في الكبير الصحابة على الحروف وهو مشتمل على نحو خمسمائة وعشرين الف حديث ورتب في الاوسط والاصغر شيوخه على الحروف يضاً ولقد رتب الكبير الامام علاء الدين علي بن بلسبان الفارسي (٢) ترتيبا حسنا، وسنن الدراقطني (٣) وصحيح ابى حاتم محمد بن حبان البستي (٤) وصحيح ابى عوانة يعقوب بن اسحاق (٥) وصيح ابن خزيمة محمد بن اسحاق (٦) وصحيح المنتقى لا بن السكن سعيد بن عثمان البغدادي (٧) والمنتقي لقاسم بن اصبغ محدث الاندلس (٨) ومصنف الطحاوي (٩) ومسند ابن جميع محمد بن أحمد (١٠) ومسند محمد بن اسحاق (١١) ومسد الخوارزمي (١٢) ومسند ابى اسحاق ابراهيم بن نصر الرازي (١٣)

وسنعقد لكل كتاب من كتب السنة الشهيرة في القرنين الثالث والرابع فصلا يعرف به وبين درجة احاديثه وما لقيه من عناية مبتدئين في ذلك بمسند الامام احمد رضي الله عنه

مسند الامام احمد بن حنبل

مسند الامام احمد كتاب جليل من جملة اصول السنة يشتمل على اربعين الف

(١) سنة ٣٦٠ (٢) سنة ٧٢١ (٣) سنة ٣٨٦ (٤) سنة ٣٥٤ (٥) سنة ٣١٦
(٦) سنة ٣١١ (٧) سنة ٣٥٣ (٨) سنة ٣٤٠ (٩) سنة ٣٢١ (١٠) سنة ٤٠٢
(١١) سنة ٣١٣ (١٢) سنة ٤٢٥ (١٣) سنة ٣٨٥

حديث تكرر منها عشرة آلاف ومن احاديثه ماينوف عن ثلثمائة حديث ثلاثية الاسناد (اي بين راويها والرسول ثلاثة رواة)

درجة حديثه - روى ابو موسى المديني عن الامام احمد انه سئل عن حديث فقال انظروه فان كان في المسند والا فليس بحجة. كان الامام يرى صحة كل ما ساقه في مسنده لكن عبارته ليست صريحة في ان كل ما فيه حجة انما هي صريحة في ان ما ليس فيه بحجة لكن ثم احاديث مخرجة في الصحيحين وليست فيه. والحق ان الكتاب فيه كثير من الاحاديث الضعيفة بل ذكر ابن الجوزي في موضوعاته خمسة عشر حديثا من المسند لاحت له فيها سمة الوضع وذكر الحافظ العراقي تسعة. لكن اجاب عن هذه الاحاديث الحافظ ابن حجر في كتابه (القول المسدد في الذب عن المسند) وقال في كتابه تعجيل المنفعة برجال الاربعة ليس في المسند حديث لا اصل له الا ثلاثة احاديث او اربعة منها حديث عبد الرحمن ابن عوف انه يدخل الجنة زحفا قال ويعتذر عنه لانه مما امر بالضرب عليه فترك سهوا او ضرب عليه وكتب من تحت الضرب. ويعجبني ما قاله العلامة ابن تيمية في كتابه (منهاج السنة) شرط احمد في المسند ان لا يروي عن المعروفين بالكذب عندهم وان كان في ذلك ما هو ضعيف، قال ثم زاد ابن احمد زيادات على المسند ضمت اليه وكذلك زاد ابو بكر القطيعي وفي تلك الزيادات كثير من الاحاديث الموضوعة فظن من لا علم عنده ان ذلك من رواية احمد في مسنده

شرحه واختصاره - شرح المسند ابو الحسن بن عبد الهادي السندى «١» نزيل المدينة المنورة واختصره زين الدين عمر بن احمد الشماع الحلبي وسمى مختصره در المنتقد من مسند الامام احمد وكذلك اختصره سراج الدين عمر بن علي المعروف بابن الملقن الشافعي «٢»

«١» توفي سنة ١١٣٩ «٢» توفي سنة ٨٠٥

الجامع الصحيح المسند للامام البخاري

وصف اجمالي له ـ هو اول كتاب الف في الصحيح المجرد وقد اتفق جمهور العلماء على انه اصح الكتب بعد القرآن الكريم ويقاربه في ذلك صحيح مسلم وذلك انهما لا يخرجان من الحديث إلا ما اتفق على ثقة ناقليه الى الصحابي المشهور مع كون الاسناد اليه متصلا غير مقطوع (وذلك ما يسمى بشرط الشيخين)

ولقد جمع البخاري صحيحه في ست عشرة سنة وما كان يضع فيه حديثا إلا بعد ان يغتسل ويصلي ركعتين ويستخير الله في وضعه. وقد ذكر الحافظ ابن حجر أن عدة ما فيه من الاحاديث بالمكرر ٧٣٩٧ سوى المعلقات والمتابعات والموقوفات (*) وبغير المكرر من المتون الموصولة ٢٦٠٢ ومن المتون المعلقة المرفوعة التي لم يصلها في موضوع آخر منه ١٥٩ حديثا فمجموع غير المكرر ٢٧٦١ وفيه من المعلقات ١٣٤١ حديثا وفيه من المتابعات والتنبيه على اختلاف الروايات ٣٤٤ حديثا ولم يذكر عدد الموقوفات على الصحابة والمقطوعات الواردة عن التابعين فمن بعدهم فجملة ما فيه بالمكرر سوى الموقوف والمقطوع ٩٠٨٢ حديثا. وانما جمع في صحيحة الاحاديث المعلقة والموقوفة والمقطوعة وليست من موضوع كتابه لانه قصد بها الاستئناس والاستشهاد فحسب، ولذلك غاير في سياقها لتمتاز

وقد انتقد عليه الحفاظ عشرة احاديث ومائة منها ما وافقه مسلم على تخريجه

«*» المعلق من الحديث ما كان في سنده سقط من اوله كأن يقول البخاري عن ابن عمر «رض» عن النبي «ص» كذا والموقوف ما انتهى سنده الى الصحابي فلم يذكر فيه قولا للنبي ولا فعلا ولا وصفا ولا تقريرا ـ والمقطوع ما انتهى سنده الى من دون الصحابي كالتابعي وقد يطلق على المقطوع موقوف على فلان اي الذي انتهى اليه السند

وهو ٣٢ حديثا ومنها ما انفرد بتخريجه وهو ٧٨ حديثا قال الحافظ ابن حجر في مقدمة شرحه (فتح الباري على صحيح البخاري) : وليست عللها كلها قادحة بل اكثرها الجواب عنه ظاهر والقدح فيه مندفع و بعضها الجواب عنه محتمل واليسير منه في الجواب عنه تعسف ، وقد اوضح ذلك الحافظ مفصلا في المقدمة . وقد ضعف الحافظ من رجال الجامع للبخاري نحو الثمانين ولكن اكثرهم من شيوخه الذين لقيهم وجالسهم وعرف احوالهم واطلع على احاديثهم وميز صحيحها من ضعيفها فهو بهم اعرف ولهم اخبر . وقد روي عن البخاري جامعه الصحيح نحو من مائة الف منهم كثير من ائمة الحديث كمسلم وابي زرعة والترمذي وابن خزيمة

شروحه - لم يعتن علماء المسلمين بشيء بعد الكتاب العزيز عنايتهم بالجامع الصحيح للامام البخاري فما اكثر شارحيه والكاتبين في رجاله والمؤلفين في اغراضه والمختصرين لكتابه وقد عد الفاضل ملا كاتب جلبي في كتابه كشف الظنون ما ينيف على اثنين وثمانين شرحا للبخاري دبجها يراع الجهابذة من السلف والاذكياء من الخلف ماين كامل وناقص ، بيدأن منهم من مال الى الاجمال كالامام الخطابي «١» فانه عمل شرحا سماه « اعلام السنن » في مجلد واحد ومنهم من آثر التطويل فلم يغادر صغيرة ولا كبيرة مما يتعلق بسنده او متنه الا كتب عليها كالامام مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزبادي الشيرازي «٢» فانه شرحه شرحا وافيا سماه « منح الباري بالسيل الفسيح المجاري » كمل ربع العبادات منه في عشرين مجلدا اتى فيه بما لم يسبق اليه . ومنهم من سلك سبيل التوسط مقتصرا على ما لابد منه في فهم الاحاديث مع تقييد او ابده وتذليل شوارده

وهولاء على اختلاف مشاربهم وتباين مسالكهم قد فاقوا حد الكثرة الا ان المحسنين من الشراح احسانا اربعة نفر

الامام بدر الدين محمد بن بهادر الزركشي «٣» في (شرحه التنقيح)

و العلامة بدر الدين محمود بن احمد العيني الحنفي «٤» في شرحه (عمدة القاريء)

«١» توفي سنه ٣٠٨ «٢» سنة ٨١٧ «٣» سنة ٧٩٤ «٤» ٨٥٥

والحافظ جلال الدين السيوطي «١» في شرحه (التوشيح)

وشيخ الاسلام احمد بن علي بن حجر العسقلاني «٢» في شرحه (فتح الباري) ولعمري انه لامير اولئك المحسنين فان شرحه لا يدانيه شرح ولا يحيط بجماله وصف، ولو لم يكن له الا مقدمته لكانت كافية في الاشادة بذكره والابانة عن جلالة قدره. ولما طلب من مجتهد اليمن العلامة الشوكاني ان يشرح الجامع الصحيح للبخاري قال: لا هجرة بعد الفتح. وقد بدأ تأليف شرحه الفتح مفتتح سنة ٨١٧ بعدان اكمل مقدمته في سنة ٨١٣ وانتهى منه في غرة رجب سنة ٨٤٢ وقداولم عند ختمه وليمة عظيمة لم يتخلف عنها من وجوه المسلمين الا اليسير انفق عليها نحو خمسمائة دينار «مائتين وخمسين جنيها مصريا» وقد لقي ما يستحق من الحضوة في عصر مؤلفه حتى طلبه ملوك الاطراف بالاستكتاب واشتري بنحو ثلثمائة دينار «مائة خمسين جنيها مصريا» وانتشر في الآفاق حتى غطت شهرته سائر الشروح وهو يقع في ثلاثة عشر مجلدا ومقدمته في مجلد ضخم «وقد طبع بكل من مصر والهند مرتين»

مختصرات الجامع ـ له مختصرات كثيرة من اشهرها مختصر الامام جمال الدين احمد بن عمر الانصاري القرطبي «٣» ومختصر بدر الدين حسن بن عمر الحلبي «٤» المسمى (ارشاد الساري والقاري) ومختصر الحسين بن المبارك الزبيدي «٥» جرد فيه حديثه من اسانيده وسماه (التجريد الصريح لاحاديث الجامع الصحيح) وقد شرحه شرحا وافيا حسن صديق خان ملك بهوبال بالهند وكذلك شرحه الشيخ عبد الله الشرقاوي

كتب رجاله ـ منها (اسماء رجال البخاري) للشيخ الامام احمد بن محمد الكلاباذي «٦» وكتاب (التعديل والتجريح) لرجاله لابي الوليد سليمان بن

«١» توفي سنة ٩١١ «٢» سنة ٨٥٢ «٣» ٦٥٦ «٤» سنة ٧٨٩ «٥» سنة ٨٩٣ «٦» سنة ٣٩٨

خلف الباجي «١» و (الافهام بما وقع في البخاري من الابهام) «*» لجلال الدين بن عمر البلقيني «٢»

الجامع الصحيح للامام الحافظ مسلم بن الحجاج

هو ثاني الكتب الستة وأحد الصحيحين المشهود لهما بعلو الرتبة وقد ذكر النووي في اول شرحه له ان الحسين بن على النيسابوري قال : ما تحت اديم السماء اصح من كتاب مسلم ووافقه على ذلك بعض شيوخ المغرب ، ولكن الذي لا ينبغي الاضرار فيه رجحان صحيح البخاري عليه لان الصفات التي تدور عليها الصحة في كتاب البخاري انم منها في كتاب مسلم اما من حيث الاتصال فلاشتراط البخاري ان يكون الراوي ثبت له لقاء المروي عنه ولو مرة واكتفى مسلم بمطلق المعاصرة واما الزم به مسلم البخاري من انه يحتاج الى ان لا يقبل العنعنة «٣» اصلا ليس بلازم لان الراوي اذا ثبت له لقاء من روى عنه مرة لا يجري في رواياته احتمال ان لا يكون سمع منه لانه يلزم من جريانه ان يكون مدلسا والمسالة مفروضة في غير المدلس . واما من حيث العدالة والضبط فلان من تكلم فيهم من رجال مسلم ستون ومائة ومن تكلم فيهم من رجال البخاري ثمانون ، مع ان الثاني لم يكثر من اخراج حديثهم واغلبهم من شيوخه الذين اخذ عنهم ومارس حديثهم واما من جهة عدم الشذوذ والاعلال «٤» فلان ما انتقد على البخاري من الاحاديث مما لم يشاركه فيها مسلم ثمانية وسبعون حديثا وما انتقد على مسلم كذلك ثلاثون ومائة اضف الى هذا ما في البخاري من الاستنباطات الفقهية والدقائق الحكمية مما عري منه كتاب مسلم . هذا الى اتفاق العلماء على

«١» سنة ٤٧٤ «*» ابهام الراوي ان لا يذكر اسمه ولايقبل حديث المبهم ولو الابهام بلفظ التعديل على الاصح «٢» سنة ٨٢٤

«٣» العنعنة ان يكون في السند لفظة عن كعن فلان عن فلان «٤» الشذوذ مخالفة الثقة من هو ارجح منه والاعلال وجود علة خفية قادحة في السند او الحديث

ان البخاري كان اجل من مسلم في العلوم واعرف بصناعة الحديث منه وان مسلما تلميذه وخريجه ولم يزل يستفيد منه ويتتبع آثاره حتى قال الدارقطني : لولا البخاري لما راح مسلم ولا جاء . لكن الانصاف يدفعنا الى الاعتراف لمسلم بتلك الميزة الجليلة والطريقة الحكيمة ونعني بها سهولة التناول من كتابه اذ جعل لكل حديث موضعا واحدا يليق به جمع فيه طرقه التي ارتضاها واورد فيه اسانيده المتعددة والفاضه المختلفة مما يسهل على الطالب النظر في وجوهه واقتطاف ثماره وتوليه الثقة بجميع الطرق التي للحديث ولم يحم حول ذلك البخاري بل فرق طرق الحديث في الابواب المختلفة

وقد روى عن مسلم ان كتابه اربعة آلاف حديث دون المكرر وبالمكرر ٧٢٧٥ حديثا

شروحه ـ شرح صحيح مسلم كثير من العلماء ذكر منها صاحب كشف الظنون نحو خمسة عشر شرحا من اشهرها المنهاج للحافظ الامام ابي زكريا يحيي بن شرف النووي الشافعي «١» وشرح ابي الفرج عيسى بن مسعود الزواوي «٢» وهو شرح كبير في خمس مجلدات جمع عدة شروح سبقته ، واكمال المعلم للامام ابي عبد الله محمد بن خليفة الابى المالكي «٣» في اربع مجلدات ضمنه شرح المازري وعياض والقرطبي والنووي مع بعض الزيادات ، والابتهاج للشيخ احمد بن محمد الخطيب القسطلاني الشافعي «٤» بلغ الى نحو نصفه في ثمانية اجزاء كبار ، وشرح الشيخ على القارى الهروي نزيل مكة المكرمة «٥» في اربع مجلدات

مختصراته ـ من اشهر مختصراته تلخيص كتاب مسلم وشرحه لاحمد بن عمر القرطبي «٦» ومختصر الامام زكي الدين عبد العظيم المنذري «٧» ومختصر ذوائد مسلم على البخاري لسراج الدين عمر بن على ابن الملقن الشافعي «٨» وهو كبير في اربع مجلدات ولابي بكر احمد بن علي الاصبهاني «٩» كتاب في اسماء رجال مسلم

(الجزء ـ ٢ ـ من المجلد ٢٢ من مجلة المنار الغراء)

«١» توفي سنة ٦٧٦ «٢» سنة ٧٤٤ «٣» سنة ٨٢٧ «٤» سنة ٩٢٣ «٥» سنة ١٠١٦ «٦» سنة ٦٥٦ «٧» سنة ٦٥٦ «٨» سنة ٨٠٤ «٩» سنة ٢٧٩

التمثيل عندنا

ما كان التمثيل في اصل وضعه الا وسيلة لتنبيه النفوس وايقاظها وتحريك الهمم لتعمل عمل الناشط لاكتساب الخصال المحمودة والمزايا المقومة للاخلاق الداعية لاحراز فضيلة الكمال الانساني وتجتنب ما يوجب الذم وينزل بها الى الضعة والانحطاط فتنفر من الرذائل وتستنكف البقاء في الذل والهوان متحملة المتاعب والمشاق متجشمة اقتحام العقبات لتبلغ الى اقصى ما تؤمله من الكمالات

وما اسست المراسح الواسعة ومعاهد التمثيل المشيدة في الممالك المتمدنة قديما وحديثا على ما هي عليه من عظمة البناء وزخرفة التأثيث لتكون مثابة للمغرمين بالعشق والغرام والمولعين باللهو والسماع . وانما اقيمت تلك البناءات الشامخة واعتبرت من التأسيسات الضرورية في العواصم لتكون مدرسة عامة تهذب اخلاق الامة وتحبب اليها الفضائل وتوحي اليها بما يجب سلوكه نحو تاييد عظمتها وحفظ مستقبلها وذلك باسلوب مؤثر مبني على تشخيص الحوادث التاريخية وضرب الامثال وتصوير الافعال المحمودة بصورة تدعو الى الرغبة فيها والرغبة عن ضدها فتنطبع الفضيلة في النفس انطباعا ويتخلق العموم بالخلق الكريم متأثرين بما يشاهدونه اشد تأثر .

وقد بعث الله غرابا يبحث في الارض ليرى « قايل » كيف يواري سوأة اخيه . وتلك آية من آيات الحكمة الالاهية وموعظة بالغة ساقها الله لعباده ليلهمهم الفضيلة ويريهم سوء اعمالهم فيصبحوا على ما اقترفوا من الاثم نادمين ،

فما كان اشد وقع هذه الرواية التي جرى تمثيلها امام عيني اول سفاك على وجه الارض فقد احدثت مناظرها في نفسه حسرة وندامة وصورت له فعلته بصورة مخجلة لم يستطع معها ان يكتم ما اعتراه من اسف وحزن على ظلمه وتسرعه في قتل اخيه فاصبح من الخاسرين

ذلك هو الرجل الذي بلغت منه القساوة منتهاها واعرض عن سماع المواعظ ولم يحذر عواقب البغي فاقدم مصرا على ارتكاب جريمة من اعظم الجرائم رأيناه حائرا كئيبا تحت تأثير منظر بسيط من تلك الرواية التي قام بتمثيلها الغراب على مرسح العالم وسمعنا ذلك الظلوم ينادي بالويل والعجز بعد ان طاوع ما سولت له نفسه من قتل اخيه فاصبح من النادمين

وهكذا سلكت الشرائع في هداية الامم وايقاظها اسلوبا تمثيليا يشخص الفضائل في اجمل تصوير ويلبس الرذائل اخلق لباس تترفع عنه النفوس الابية وتنبو عنه عيون ترنو الى علياء الفضيلة باحثة عن منازل السعادة في سماء العز

حمدت طريقة التمثيل في التربية العمومية والتشويق الى اكتساب المجد والخلق الكريم واتخذها الحكماء والمفكرون من حذاق المصلحين اساسا يشيدون عليه ما يرجونه من انتشار المبادي القويمة بين الاجناس والشعوب فيفرغون الحكمة في ظروف من التصوير وضروب من الامثال ويشخصون على مراسح الدراسة والتعليم امثلة تنطبع في النفوس بسهولة ويتلقاها العموم بشوق يدفعهم الى التخلق بمحامد الصفات ويطهرهم من خبائث النفس ونزغات الاهواء المذمومة ولذلك توسع الاروبيون في هذا الموضوع واقبلوا عليه اقبالا فائقا لما وجدوا له من التأثير الحسن والفائدة المحسوسة وكان له من الاعتبار عندهم ما للصحافة الوطنية من المكانة والاحترام.

والتمثيل والصحافة اخوان متساويان في العمل والغاية منهما واحدة وكلاهما متعرض في عمله للشكر والانتقاد بحسب ما يصدر عنهما وما يحدثانه من التأثير العام. اما الصحافة في اروبا فقد بلغت الى مستوى الرقي ورسخت رسوخا عظيما وصارت لها كلمة الفصل في جميع المسائل الهامة والمصالح العامة وما ذلك الا بفضل رجالها وبراعتهم ومعلوماتهم الواسعة التي مكنتهم من الارتقاء بمهنتهم الشريفة الى ارفع المنازل

واما فن التمثيل عندهم فانهم استخدموه في مصالحهم السياسية وتحقيق رغائبهم يفزعون اليه عند محاولة تحصيل المطالب المتوقفة على تعميم التأثير واستمالة العموم واحداث حركة عامة تئول الى نجاح محقق ولكنهم بعد ان عذب لهم مشربه السائغ عمدوا الى تكدير صفوه بما ادخلوه على فن التمثيل من المزح الذي لا يراد به الجد والضحك الذي لا يراد منه البكاء ولعلهم لم يتفطنوا الى ان المبالغة في ذلك تؤدي الى انحطاط الاخلاق وتدعو الى زهد العامة فيها سوى الخلاعة والمجون. والنفس ان اهملتها شبت على الانهماك في الرذيلة خصوصا اذا توفرت دواعيها ويعسر كبح جماحها وارجاعها الى الجادة اذا اندفعت في مضار اللهو واخذت فيه شوطا بعيدا .

ولكن مع ما علمته من افراط الاروبيين في استعمال الاساليب المتقدمة بصفة عمومية فانهم لم يفرطوا في الاحتفاظ على الاصل المعتبر الذي من اجله كان للتمثيل الاثر الحميد في التربية وتهذيب الاخلاق فان رواياتهم التي يؤلفونها للمطالعة او يعرضونها للتمثيل على المراسح لا تخلو من مغزى يقصده المؤلف وغرض يرمي اليه يراعي فيه مناسبة الحال وملايمة الاذواق بحسب الشؤون العارضة للشعب والبلاد الواقع فيها تشخيص الرواية وبذلك لم يفتهم الانتفاع بفن التشخيص ولم يشغلوا مقاعد المراسح عبثا

ومعلوم ان لكل امة شؤون ومصالح تخصها ولكل بلاد سياسة تنطبق عليها وربما كانت بعض مصالح شعب مضرة في نظر شعب آخر وذلك لاختلاف العوائد وتباين السياسات بالنسبة للمالك والامم فالروايات التي حازت اعجاب امة من الامم واثرت في مصالحها تأثيرا حسنا لا يلزم ان تكون كذلك في امة اخرى بل ربما جاءت نتيجتها بالعكس وهذا امر لا يخفى فهمه على المتأمل وقد لاحظه الكثيرون من اصحاب الاراء السديدة

ولذلك ينبغي عدم التساهل في تشخيص الروايات لمجرد سمعتها وحسن

وقعها عند الشعوب الاجنبية وغض الطرف عما اشتملت عليه من المعاني التي يلزم امعان النظر فيها من حيث انطباقها على مصالحنا وحاجاتنا واخلاقنا وعوائدنا ومناسبتها للزمان والمكان والتاثيرات التي تنشأ عنها في مجموعنا

ثم ان الاربيين انفسهم يعترفون بالعيب الذي طرأ على هذا الفن الجميل من حيث المبالغة في تقريبه لجانب الفكاهة في كثير من الروايات حتى كاد يخفى او يتلاشي المعنى الذي يلاحظه المؤلف ويبني عليه ادوار الرواية وربما تلهى العموم بمناظر السخرية والمزح ففاتتهم الحكمة المقصودة والنكتة التي يجب الانتباه اليها

ومهما كان فهم لم يعمدوا الى سلوك طريق الفكاهة إلا بعد ان رسخت فيهم اصول التربية العامة واخذوا او فر حظ من حكمة التمثيل وانتفعوا به اعظم انتفاع في ادوار نهضتهم الادبية واطوار تقلباتهم السياسية فهم الان يتمتعون بتربية عالية تناسب مركزهم الاجتماعي المؤسس على قواعد متينة محاطة بسياسة راسخة ودولة عزيزة الجانب محترمة المقام

اما نحن فقد ابتدانا من حيث انتهى القوم واستقبلنا فن التمثيل لاول وهلة استقبال المتلاهي لنديمه المضحك وبهرت ابصارنا اشعته الكاذبة فاتخذناه لهوا محضا واعتبرناه خلاعة ومجونا ولسنا بمخطئين فان اجواقنا التونسية على كثرتها وتعدد اسمائها اخذ رجالها يفحصون فيما سبق تمثيله من الروايات على مراسح اروبا ويتحفون الامة بمناظرها المبهرجة على اسلوب تفردوا باستنباطه وكيفية لم يصادق عليها المهرة من نقدة فن التمثيل

ولعل الذي دفعهم الى ذلك وجرأهم على سلوك هذا الطريق بدون تامل ولا تفكير هو تقليد اخواننا المصريين الذين عنو قبلهم بفن التمثيل فاخذوه عن اروبا وترجموا ما راق لهم من الروايات الافرنجية على اختلاف لغاتها وتباين مغازيها وتناولناها منهم بكل بساطة وحاكيناهم في تمثيلها بمنتهى السذاجة نتشبه بهم

في الحركات ونحاول مقاربتهم في الاسلوب و نكلف السنتنا النطق بلهجتهم و نحمل طباعنا على الالتذاذ بنغماتهم ظنا منا ان ذلك منتهى ما يصل اليه المجيد في هذا الفن

ولا نريد ان نتناول الموضوع من حيث وجهته الفنية لضعف معلوماتنا في هذا الخصوص و انما نقول ان الشعب التونسي في هذا الوقت غني عن احراز شهادة التبريز في اتقان ادوار تشخيص العشق والغرام والبراعة في مغازلة الغواني و استمالة قلوب العذارى بالالحان المطربة و الاصوات الشجية

و الذي نرمى اليه هو البحث في نتيجة التمثيل و تاثيره على مجموعنا فاول ما يجب الانتباه اليه هو ملاحظة معاني الرواية المراد تمثيلها و اغراضها ونتيجتها ونسبتها لاخلاقنا و عوايدنا و ما يترتب عليها من التاثيرات مع مراعاة الزمان الحاضر وما تستدعيه حالتنا الاجتماعية وكل ذلك يستدعي نباهة تامة و حذقا فايقا والا كانت النتيجة عكس المامول . ولا ننسى اننا الان بصدد عمل هام تردد فيه بين السعادة و الشقاء .

فماذا يستفيد التونسي اذا تبوا مقاعد التشخيص وبرز الممثلون والممثلات يحاكون باعمالهم وازيائهم ادوار قصة من قصص التاريخ وحادثة من حوادث القرون الماضية لا تنطبق على حالته الراهنة و لا تشير الى امر عظيم يستلفت نظره و يستدعى انتباهه بالقياس على احساساته الشخصية و احتياجات بلاده وامته

وماذا يغني عنه فرنسوا الاول اذا تلاهى عن ملكه بمغازلة النساء وقضي معظم وقته بين المضحكين في مجالس اللهو والخلاعة وما هي الحكمة المستفادة من رجال بلاطه اذ اجمعوا كيدهم للتشفي من مضحك الملك فهتكوا حرمته وعرضوا ابنته العفيفة الى الفسق والعبث بشرف الطهارة . واقبح مناظر هذه الرواية هو خروج ابنة المضحك من غرفة الملك بثياب النوم منطرحة على احضان ابيها اثر انطماس نور طهارتها على مشهد من رجال البلاط ـ ولقد فتشت

عن سر تمثيل هذه الرواية وبيت القصيد منها فلم تقنع نفسي بشيء تطمئن اليه ولذلك جنحت الى اعتقاد ان للرواية مغزي شريفا اضاعه الممثلون كما اضاعوه في كثير من الروايات التي وقع تمثيلها على المراسح التونسية بواسطة اجواقنا القديمة والحديثة

وبماذا يطمع الناظر في ادوار رواية مطامع النساء اذا شاهد مناظرها الملفقة تدور على محور الشهوة البهيمة والمطامع الخسيسة والتشوف الى سفاسف الامور واكتساب الرذايل

وهل تفيدنا شيئا رواية القائد المغربي مع ان اهم ادوارها الذي يعتني بالا تنتباه اليه عموم المتفرجين انما هو دور يعقوب الذي يمثل الغدر والخيانة وسوء النية وعدم حفظ العهد مع الاتصاف بعدة نقايص اخرى واكثر الحاضرين انما يرونه بعين الاعجاب لمهارته في طرق المخادعة والمخاتلة ويكبرون اقتداره على ارتكاب تلك المنكرات وينسبونه الى الحذق والبراعة وقلما تنبه الحاضرون الى ما سوى ذلك لضعف الملكة العامة وعدم تشبع العموم ورسوخهم في التربية والاخلاق

بل اين ما يترقبه الحاضرون في تمثيل الروايات المنسوبة للرشيد العباسي ووزيره جعفر الشهير فلولا مضحكات المناظر لبكي الناظرون اسفا على رؤيه الرشيد ووزيره في ذلك الانحطاط والتسفل والبعد عن فضيلة التربية والاخلاق الشريفة فمتى ساغ للرشيد ان يتداخل بين محبين ويجمع بين عشيقين وكيف سمحت له شواغله الهامة وهو في منصب الخلافة العظمى بالتفرغ لحضور مجالس اللهو والاحتفال بما جن خليع وهل من الممكن ان تطاوعه نفسه الشريفة وهمته العالية الى التدلي لتلك المرتبة التي وضعه فيها ممثلوا الراية ونزهه عنها ثقات المؤرخين

وهكذا خلت الروايات التمثيلية عندنا من كل فائدة تعود علينا بمنافع حسنة

الا ما ندر مع كونها مشتملة على عيوب يجب الاحتراز منها ولا يقنعنا ما يزعمونه من ان الروايات الممثلة هي من اشهر الروايات ومؤلفيها من ابرع الكتاب ومترجميها من امهر المحررين وانها حازت الموقع الحسن في البلدان المتمدنة فكل ذلك لا يصرف نظرنا عن الاثر الناشيء عن تشخيص رواية يشاهدها التونسي في بلاده يقوم بها طائفة من مواطنيه بعنوان نشر الاخلاق الفاضلة والتربية الصحيحة وتهذيب الارواح

لم اجد في الغالب للتمثيل من اثر محسوس منذ ظهوره وشيوعه بيننا الا ما استعذبه الاحداث من لهجة الممثلين اثناء القيام بادوارهم وما ياتونه من الحركات الغير الاعتيادية فصاروا يتشبهون بهم اذا خلو في مجتمعاتهم ويؤلفون اجواقا وقتية ويكررون ما سمعوه محافظين بقدر الامكان على اللهجة والحركات المتكلفة ويتنافسون في اتقان ادوارهم هذه تنافسا غريبا لو صرفوه فيما ينفع لكان اثره عجيبا

نحن في حاجة الى روايات اخلاقية يقوم بوضعها رجال لهم دراية بما يفتقر اليه التونسي من الحاجات وما ينبغي ان يتجمل به من الصفات وما يتحتم عليه نبذه من المنكرات ويفرغون ذلك في قالب يلايم الذوق ويصل الى محل التاثر منه . والمجال اوسع من ان يلجئنا الى الاقتصار على روايات تنافي اغراضها رغائبنا



اكسير الحياة

وتجديد الشباب

شاع في اوائل العام الماضي ان الدكتور ڤرونوف المعروف في هذا القطر استنبط طريقة لتجديد الشباب وانه امتحنها في باريس فظهرانها صحيحة وكان لها وقع عظيم في النفوس. ثم بلغنا ان طريقته لم تفلح وان الذين استعملها فيهم قاموا عليه فاضطران يترك فرنسا ويمضي الى اميركا. وقرانا الان في مجلة السينتفك اميركان الشهرية الصادرة في نوفمبر ان الدكتور ڤرونوف في نيويورك وهو يمتحن طريقته هناك امام العلماء. ثم توسع الكاتب فذكر خلاصة ما تم في هذا الموضوع الى الان من ذلك ان الدكتور مكورکل جدد شباب ٣٤ رجلا اعمارهم من ٦١ الى ٧٤ وسبع نساء اعمارهن من ٤٥ الى ٤٧ وذلك بنقل بعض الغدد من ابدان المعزى الى ابدانهم. وهو يعتقد ان فائدة نقل هذه الغدد الى ابدانهم لا تقتصر على تجديد شبابهم بل تطيل اعمارهم ايضا. وطريقته ان ينزع الغدة من الحيوان ويغرسها في جسم الانسان على مقربة من محل الزائدة الدودية فتلتصق بالبريتون. والذين عولجوا كذلك كان بعضهم قد سئم الحياة فتجددت قواه وعاوده البشر وطلاقة الوجه وصار ينظر الى الحياة نظر المسرة والاستبشار. وكان بعضهم قد اصيب بضغط الدم في شرايينه الى الدرجة القصوى فخف ضغط دمهم الى درجة لا تصدق

لكن هذه التجارب لا تحسب شيئا في جنب ما فعله الدكتور او جين ستيناخ النمسوي وهو معدود مثل اكبر ثقة في اوربا. وقد

انشأ مخبرا في مدينة براغ للمباحث الفسيولوجية ثم جعل مديرا للمعهد البيولوجي في ڤينا حيث جرب التجارب المشار اليها فتمكن من اعادة الشباب الى الناس والحيوانات بثلاث طرق مختلفة . الاولى بنقل بعض الغدد الى ابدانهم والثانية بربط اقنية هذه الغدد حتى لا تخرج مفرزاتها منها والثالثة باستعمال اشعة اكس على اسلوب مخصوص . والذين يانفون من الطريقتين الاوليين يفضلون عليهما الطريقة الاخيرة لان ليس فيها ما يوجب الاشمئزاز

وقد نشر هذا الدكتور كتابا موضوعه تجديد الشباب بتجديد قوى غدد المراهقة . وهو يريد بغدد المراهقة ما منها في اعضاء التوليد في الذكور والاناث وايضا الغدد المتداخلة Interstitial في الرجال والنساء التي لمفرزاتها الداخلية شان كبير في ما هو واقع من الاختلاف بين الذكور والاناث وما يحدث في سن البلوغ

ومن الاعمال الغريبة التي عملها انه استاصل اعضاء التذكير من الجرذان المساة خنازير الهند ووضع مكانها مبيض اناث من تلك الحيوانات فصارت اناثا . ثم كرر هذه التجارب على صورة مخالفة للاولى اي انه نزع المبيض من الاناث وابدله باعضاء الذكور فصارت الاناث ذكورا . ولكن لا نعلم هل اقتصر هذا التغيير على مميزات الذكور والاناث الظاهرة او تناول ايضا مزية التوليد اي صار الذكر انثى بالفعل تحمل وتلد وصارت الانثى ذكرا بالفعل من حيث وظيفته في التوليد

ولا يخفى على قارئي المقتطف ان استئصال الاعضاء من حيوان لغرسها في آخر صار الآن شائعا في صناعة الجراحة وهو من الاعمال التي تعمل كل يوم في المستشفيات الجراحية . وقد اخبرنا صديق لنا

جراح ومولد مشهور انه طالما نقل الغدد من شخص الى آخر فكانت تحيا في الجسم الذي تنقل اليه ولكنها تضمر رويدا رويدا حتى تزول واما نقل اعضاء التوليد حتى يصير الذكر انثى وتصير الانثى ذكرا ولو في مميزاتهما الظاهرة فلم نر له تفصيلا في مجلة علمية قبل الآن

والتجارب المشار اليها آنفا اجراها الدكتور ستيناخ في فينا سنة ١٩١٥ امام جماعة من العلماء الطبيعيين . وعنده ان الفرق الجوهري بين الذكر والانثى قائم بالغدد المتداخلة بين الانسجة Interstitial لا بما بينهما من الفرق في الاعضاء الظاهرة والباطنة . ولما كان الفرق الاكبر بين عنفوان الشباب وفتور الشيخوخة قائما على هذه الغدد قال في نفسه انه قد يسهل توقيف الشيخوخة بتقوية هذه الغدد . ومن ثم شرع يمتحن الامر في الجرذان ليرى كيف تتغير احوالها الطبيعية من حين ولادتها الى ان تشيخ وتموت فوجد ان من علامات الشيخوخة فيها انتفاش صوفها ثم تمعطه من بعض الاماكن من جلدها وتقوس ظهرها وضعف قابليتها للطعام وكمد عينيها وضعف عضلاتها وزوال غيرتها وتجنبها مخاصمة غيرها . ثم وجد بالامتحان انه يستطيع ان يزيل كل هذه العوارض او العلامات بالطرق الثلاث التي جرى عليها اولاها ربط القنات المنوية حتى يبطل افرازها والثانية استعمال اشعة اكس وهي تصلح للرجال والنساء على حد سوى . والثالثة نقل بعض الغدد المتداخلة من الشبان الى الشيوخ

والظاهر ان اول من قال بشيء من ذلك الدكتور برون سيكار العالم الفسيولوجي المشهور فقد قال انه حقن نفسه تحت جلده بمادة

مستخلصة من خصية حيوان فشعر بتجدد قواه الحيوية وكان شيخا في الثانية والسبعين من عمره . ثم اتضح ان الفعل الحقيقي هو لمفرزات الغدد المتداخلة وهي توجد في الخصيتين والمبيض وتفرز مفرزا داخليا له تاثير خاص في الحيوان

ولو كانت ظواهر تجديد الشباب خاصة بالانسان لقلنا انها قد تكون من قبيل التوهم والاعتقاد اما وهي ظاهرة في الحيوان ايضا فلم يبق سبيل للشك فيها ان كان الرواة صادقين فيما رووا

(الجزء - ١ - من المجلد - ٥٨ - من مجلة المقتطف الغراء)



كتاب السموم

لابي جابر ابن حيان الصوفي

في اواخر شهر مايو الماضي بيع بمدينة لندن ٢٦ كتابا من المخطوطات و ٨ من المطبوعات وهذه مطبوعة على رقوق في القرن الخامس عشر فبلغ ثمن الجميع ٧٧٨٦٥ جنيها اي كان متوسط ثمن الكتاب منها اكثر من ٢٢٩٠ جنيها . وقد بيع بعضها باكثر من ذلك كثيرا فبلغ ثمن واحد من الكتب المطبوعة ٨٩٠٠ جنيه وثمن آخر ٤٠٠٠ جنيه . واما المخطوطات فبلغ ثمن واحد منها ٨٠٠٠ جنيه وهو من القرن الثالث عشر او الرابع عشر وبلغ ثمن كتاب آخر ٦٧٠٠ جنيه وثالث ٥٠٠٠ جنيه وهو من مخطوطات القرن الثاني عشر

ولو بيعت المخطوطات العربية التي في دار الكتب السلطانية بمثل هذه الاسعار لبلغ ثمنها ملايين الجنيهات فان فيها نسخا من القرآن خطت في القرن الثالث الهجري او نحو القرن العاشر المسيحي عدا ما فيها من سائر المخطوطات وبعضها نسخ مؤلفيها انفسهم . ونسخ المؤلفين القديمة تباع في اوربا باثمان فاحشة جدا (١)

(١) عندنا نسخة من هذا القبيل من تاليف الامير اسامة بن منقذ صاحب قلعة شيزر ولعلها الوحيدة وقد خطت سنة ٥٧٩ هـ اي سنة ١١٨٣ م واهداها المؤلف الى ابنه مرهف وعليها بخطه انها هدية اهداها والده اليه . وعندنا ايضا نسخة قديمة من كتاب المصابيح للبغوي خطت سنة ٦٩٦ هـ اي سنة ١٢٩٧ م ونسخة من شرح فصول ابقراط لابن ابي صادق المعروف بسقراط الثاني المتوفى في اواسط القرن الخامس للهجرة وعليها بخط احد محمد ابن الهمام الحنفي المتوفى سنة ٨٦١ انها دخلت في ملكه سنة ٨٥٩ هـ . ويرجح من نوع خطها وتصحيحه انها من عهد المؤلف اي من اواسط القرن الخامس الهجري . ونسخة من عهد الامام علي لمالك ابن الاشتر النخعي كتبت سنة ٨٥٨ وكانت من كتب السلطان بايزيد الثاني

ولعل المخطوطات القديمة من القرن السادس الهجري الى العاشر كثيرة في كل دور الكتب في هذا القطر وغيره من الاقطار ولكن النادر منها قليل ومن اندرها فيما نظن كتاب وقفنا عليه الان وهو كتاب السموم لابي موسى جابر بن حيان الصوفي تلميذ جعفر الصادق وهو من مخطوطات كثيرة ابتاعها حديثا البحاثة المدقق احمد باشا تيمور يقال في آخره انه كتب بشيراز سنة ثلث وخمسمائة خراجية . وتحت ذلك ما نصه « طالعه منصور بن علي ونقله لنفسه باجمعه تعليقا في سنة ٦٣٩ ه وقد دخل هذا الكتاب في ملك كثيرين في ازمنة مختلفة منهم الصلاح الصفدي المتوفى سنة ٧٦٤ ه ومحمد عبد الرحمن الانصاري وقد دخل في ملكه سنة ٨٢٢ واحمد بن علي ودخل في ملكه سنة ٨٣٠

وقد عبث به العث ولاسيما في اوله وآخره فخرقه تخريقا شنيعا فاذا وجدت نسخ اخرى منه حتى يعارض بها و يصحح فهو حري بان يطبع لانه كثير الفوائد

وان كان هذا الكتاب لجابر بن حيان الصوفي تلميذ جعفر الصادق كما يقال في اوله فهو اقدم الكتب العربية الباقية الى عهدنا لان جابر توفي سنة ١٦٠ ه على ما قاله حجي خليفة في كشف الظنون وذلك يقابل سنة ٧٧٦ م وهناك رواية ثانية وهي انه كان تلميذا لخالد بن يزيد فهو اقدم من ذلك لان خالدا توفي سنة ٨٥ ه . وقد اختلفت الاقوال في مسقط راسه فقيل انه ولد في طرسوس وقيل في الكوفة وقيل بل ولد بحران في القرن الثالث ه وكان من الصابئة

والكتاب مبدؤ هكذا :

« بسم الله الرحمن الرحيم قال ابو موسى جابر بن حيان الصوفي قد ارتسمت اطال الله بقاءك ما امرت به واحدثت من الشرح ما علمت انك من الفهم بحسبه وانتهيت الى ارادتك واتيت على حاجتك وارجو ان تبلغ به رغبتك وتنال منه بغيتك وتكون به راضيا ولادبك كافيا ان شاء الله وبه القوة . قال بعضهم ان السم جسم كوني ذو طبائع غالبة مفسد لمزاج ابدان الحيوان ضربا من الفساد . وقال آخر انه مزاج طبائع غالبة لدواب الحيوان بذاته وقال بعضهم بانه مزاج قوة مزاج غالب مفسد ومصلح . فهذه اراء الناس في حده . فاما غرضنا في هذا الكتاب فهو الابانة عن اسماء انواع السموم وكنه افعالها وكمية ما يسقى منهـا ومعرفة الجيد من الردي ومنـازل صورها والاعضاء المخصوصة المقابلة لجوهرية خواصها واذكر مع ذلك السم الذي يكون نافذا بفعله في سائر البدن والمهلك بجملته »

وخلو فاتحة الكتاب من الحمـدلة والصلات والتسليم يحمل على الظن ان المؤلف كان من الصابئة كما قال بعضهم ولعل البسملة زيادة من النساخ

والكتاب مقسوم الى خمسة فصول الاول في اوضـاع القوى الاربع وحالها مع الادوية المسهلة والسموم القاتلة وحال تغيير الطبائع والكيموسات المركبة منها ابدان الحيوان

والثاني في اسماء السموم ومعرفة الجيد منها والردي وكمية ما يسقى من كل واحد منها وكيف يسقى ووجه ايصالها الى الابدان

والثالث في ذكر السموم العامة الفعل في سـائر الابدان والتى

تخص بعض ابدان الحيوان دون بعض والتى تخص بعض الاعضاء من ابدان الحيوان دون بعض

والرابع في علامات السموم المسقاة والحوادث العارضة عنها في الابدان والانذار فيها بالخلاص والمبادرة الى علاجه والحكم بالاياس مما لا حيلة فيه

الخامس ذكر السموم المركبة وذكر الحوادث الحادثة منها

السادس في الاحتراس من اخذ السموم قبل اخذها فاذا أخذت لم تكد تضر وذكر الادوية النافعة من السموم اذا شربت من قبل بعدم الاحتراس منها

وقد قسم السموم الى حيوانية ونباتية وحجرية وذكر من السموم الحيوانية مرار الافاعي ومرارة النمر ولسان السلحفاة وذنب الايل والارنب البحري والضفدع والذراريح والعقارب والكلب الكلب

ومن السموم النباتية البيش وقرون السنبل والافيون والبنج الاسود والسوكران والشيلم والجوز ماثل والكسبرة وبزر قطونا والفطر والكمأة وصمغ الشذاب والبلاذر والحنظل والدفلى والخربق واللفاح واليبروح وعنب الثعلب والحلتيت

ومن السموم الحجرية الزنجار والزيبق والزرنيخ والنورة والزاج والشب والطلق وبرادة الحديد وبرادة الذهب

ثم اسهب في وصف كل من هذه السموم على حدة مثال ذلك قوله عن الزنجار ان هذا الحجر قد ينقسم في عمله واثار افعاله في اجسام الحيوان الى ثلثة اقسام حسب انقسام اصناف نوعه وذلك ان منه معدنيا ومنه متخذا

بالمهنة والعمل . والمتخذ بالعمل ينقسم قسمين فالاول وهو اجود اصناف الزنجار ما اتخذ من الراسخنج (؟) والنوشادر والخل والثاني يتلوه وهو ما تخذ بالخل والملح اوبتبخير الخل وصفائح النحاس . وجميع انواعه قاتل مقرح للامعاء مسحج لها مؤلم للاحشاء والمعدة الما شديدا . وقد يقطر ماء هذا الزنجار ولا سيما ما كان من النوشادر فيكون من مائه سم قاتل ابلغ من هذه على ما سنشرح الحال فيه في الفصل التالي لهذا الفصل ان شاء الله

وقد اكثر المؤلف من ذكر فلاسفة اليونان واطبائهم كانه اعتمد عليهم ولا سيما في الكلام العلمي عن فعل السموم كقوله « قد اطلق بقراط وجالينوس واندروماخس وسائر اصحاب المهنة الطبية انه لاشيء في اجسام الحيوان من الاخلاط اكرم من الدم وانه قاعدة البدن » وقوله في مكان آخر . « قد اجاد ذلك ارسطوطاليس وفوثاغورس اما ارسطوطاليس فقال في قاطيغورياس ان النباتية الفضول متباينة الذوات والحدود وهذا قول حق » . « وذكر في الكلام على الترياق قصة مشهورة قال « فاما جالينوس فانه حكى عن اندروماخس انه قال ان الذي دعاني الى علم الترياق اشياء منها انني كنت مجتازا من المدينة الى ضيعة لي اريد ان اقف على ما عملته الفعلة رايت رجلا جالسا يبول اذ خرجت حية فنهشته فقام يعدو فقلنا له ما بالك فقال نهشتني حية فقلت فما عدوك . وقد كنت سمعت ان بعض الحيات اذا هي نهشت الانسان منعته من الجلوس والقت عليه الرعدة والفزع والعدو . فقال ادخل الى هذه الشجرة فآكل منها ليزول وجعها عني . فقلت وما تلك الشجرة فقال

الغار فقلت والغار ينفع من سم الحيات فقال نعم فعدوت معه فالتقط شيئا من جوز الغار وما زال يشققه ويا كل حبه حتى برأ . وما زال يعدو بين يدي الى القرية وهو في عافية لا يحس من نهش الحية بشيء . ففكرت في ذلك وان اعمل من حب الغار دواء يبقى على الاوقات ويصل الى مواضع نهش الحيات بقوتة فسحقت الغار وعجنته بالعسل ثم كان من زيادته فيه ما كان مما اوضحناه في كتاب الطب الكبير »

والكتاب كله على هذا النسق من الاستشهاد بفلاسفة اليونان واطبائهم . فان كان لجابر بن حيان الصوفي كما قيل في اوله فذلك يؤيد ما كتبه ابن النديم في كتابه الفهرست من ان خالد بن يزيد الاموي امر بنقل كتب العلوم من اللسان اليونانى والقبطي الى العربية . ولا يبعد ان يكون جابر من النقلة

(الجزء - ١ - من المجلد - ٥٨ - من مجلة المقتطف الغراء)

(بتصرف جزءي)



الدروس العليــا

بالمعهد الزيتوني بتونس

يجمل بنا ان نكتب بمداد الابتهاج ما عليه المعهد الزيتوني اليوم من اقامة دروس عليا في ربوعه لاسيما فن الحديث الذي هجرت معالمه وفكت على شد الرحال رواسمه فلقد اصبح آهلا به فله سبحانه المنة والحمد

ومما يهني به ابناء المعهد الزيتوني ونعده بشرى في التمسك باهداب الدين الحنيف والشريعة الغراء ان يختم مثل كتاب الشفا للقاضي ابي فضل عياض رحمه الله وفعلا ففي منتصب شهر رجب من هذا العام قد ختم هذا الكتاب الجليل فضيلة الاستاذ الكبير والمصلح الخطير الشيخ سيدي محمد الصادق النيفر بالجامع الاعظم ختما طال العهد بنظيره .

ونظرا لما لهذا الكتاب من علو الكعب ورفعة الشان في خدمة المصطفى سيد بني عدنان صلى الله عليه وسلم وانه المفزع والاكسير لدفع الملمات يجدر بنا ان ناتي على نص هذا الختم الشريف مع ما تضمن من تحقيق العبارات ، وصالح الدعوات ورجاؤنا في أُساة القلوب واساطين العلم ان لا يشحوا على الامة بما تثمره قرائحهم الزكية من كل عزيز وغال

قال الاستاذ ابقاه الله

بسم الله الرحمن الرحيم

وعلى سيدنا ومولانا محمد افضل الصلات والتسليم وآله وصحبه

قال القاضي ابو الفضل عياض رحمه الله (وقال ابو عمران في رجل قال لو شهد علي ابو بكر الصديق) رضى الله عنه وحذف الجواب لظهوره وعدم تعلق الغرض بذكره (انه) اي الشان والاظهر القول المذكور (ان كان) مراده ان شهادته (في مثل هذا لا تجوز بهذا الشاهد الواحد) لانها شهادة فرد (فلا شيء عليه) من تعزير وغيره وهو الظاهر من المبالغة (وان اراد غير هذا) المعنى مما يقتضي الاهانه لقرينة خارجية فهو امر مفروض خلافا للشارح المحقق الشهاب حيث جعلها لسوق الكلام (فيضرب ضربا) بليغا (يبلغ به حد الموت) اي يوصل به بسبب ذلك الضرب الى مرتبة الموت لتنقصه للصديق صاحب رسول الله « ص » وهذا التفصيل هو التحقيق وفي ختم المصنف كتابه بهذا النقل المقتضى التنويه بشان الصديق « رض » ما لا يخفى من الحسن ورد العجز على الصدر وربط الآخر بالاول فان موضوع الكتاب التنويه بشان المصطفى والتعريف بحقوقه الواجبة ومراعات حرمة مثل الصديق هي من احترامه « ص » قطعا وناهيك بما اخرجه الترمذي عن ابي هريرة « رض » قال قال رسول الله « ص » (ما لاحد عندنا يد الا وقد كافأناه الا ابا بكر فان له عندنا يدا يكافئه الله بها يوم القيامة) الحديث

وكذا ذكر الموت الذي هو النهاية لكل بداية ولكل طور من اطوار الحياة غاية (قال القاضي ابو الفضل رحمه الله هنا انتهى بنا القول) اي كمل وتم بفضل الله القول المتعلق بنا من قولهم انتهى به الى كذا وصل به او الصادر منا على نيابة الباء عن من قال الشيخ الغرياني وانما قال انتهى بنا القول ولم يقل انتهى القول اشارة منه «رض» الى ان كمالاته وتنزيهاته وتعظيمه لا يحصرها هذه الاقسام ولا الابواب وتعجز الالسنة وتكل الدفاتر والاقلام فلله دره ما الطفها اشارة وما احسن ادبه في هذه العبارة اي انتهى قولي فقط بحسب ما اقتضاه فهمي وعقلي (فيما حررناه) اي لخصناه وهذبناه من الاقسام الاربعة السابقة والتذكير باعتبار لفظ ما كما هو ظاهر (وانجز) افتعل من نجز بالكسر نجازا اذا تم (الغرض) اي المطلوب (الذي انتحيناه) اي قصدناه وملنا نحوه في تاليفنا هذا (واستوفي) اي كمل القول واتى به وافيا على انه مبني للفاعل وجوز فيه البناء للمفعول واقتصر عليه القاري وابن قبرص وبه تتصل روايتنا والاول صدر به الشهاب والغرياني والاسناد فيه مجازى (الشرط الذي شرطناه) المتقدم في اول الكتاب وافرد على ارادة الجنس والا فهي شروط كما قال الغرياني (مما) اي من الاقسام الاربعة السابقة التي اوردناها والتزمنا تكميلها سابقا (ارجو) اي أؤمل ويكون في غير هذا المحل بمعنى الخوف اذا قرن بالنفي كقوله تعلى «ما لكم لا ترجون لله وقارا» (ان يكون في كل قسم منه للمريد مقنع) مفعل اسم مكان او مصدر ميمي من القناعة وهي الرضا والمريد اي الطالب لهذه المقاصد والمراد به هنا من يطلب الوقوف

على معرفة مقدار النبوءة وحقوقها وعبر بذلك اشارة الى انه لا يمكن الوصول الى حقيقتها ولا يتاتى ادراك كنهها ولا الطالب الكامل يقف عند مقدار منها ولا تلتفت نفسه الى غيرها بل دائما في تطلب وانتظار وتشوف لعلو شرف ذلك المقدار وانما هو من باب الكفاية وسد الرمق فلا يزال في تحير وقلق قال الشهاب فلله دره « اي المصنف » من امام بليغ | وفي كل باب منهج | اي طريق مستقيم واضح (الى بغيته) بكسر الباء وضمها وغين معجمة وهي المطلوب كذا في الشهاب واقتصر ابن قبرص على كسر الباء وعبر القاري بكسر الباء وتضم (ومنزع) بفتح الميم والزاي المعجمة وقد ابدى الشهاب في معناه وجوها ثلاثا الاول انه بمعنى محل النزع اي الترك «قال الغرياني ومنه الحديث فان نزع عنه واستغفر وتاب صقل قلبه »اي اقلع عن الذنب وتركه وعليه هنا وفي فهم كل باب من ابوابه ترك لما كان عنده من الجهل بما يناسب مقامه الشريف صلى الله عليه وسلم الثاني بمعنى محل الاحباب الذين يشتاق اليهم من نزع الى اهله ووطنه اذا اشتاقه وعليه فالمراد ففي فهم كل باب اشياق لتعظيم النبيء صلى الله عليه وسلم وتوقيره وعلى هذا الوجه اقتصر ابن قبرص الثالث انه من نزع السهم اذا اخذه ليرميه وعليه فالمعنى ففي فهم كل باب تمكن واخذ لسهام الحجج لرمي المردة من الثقلين (وقد سفرت) اي كشفت وبينت بما حررته (عن نكت) جمع نكتة وهي الامر الدقيق المستخرج بالفكر وجودة القريحة (تستغرب) من الغرابة وهي الموجود عن عزة وجود (وتستبدع) اي تعد بديعة اي حسنة نادرة المثل قال الشهاب وزاد تستبدع وام يقتصر على تستغرب لئلا يتوهم ان غرابتها لعدم إلف

العباد لا لعدم سبق مثلها اذ ليس كل مستغرب مستبدعا فلله درة (وكرعت) اي خضت بفكري عن قريحة كاملة من الكرع في الماء وهو الشرب منه بالفم وقال بن دريد لا يكون الكرع الا فيمن خاض الماء بقدميه فشرب منه بفمه (في مشارب) في الاصل محل الشرب واستعير للمسائل الحسنة (من التحقيق) اي بيان الحق واثباته بدليله (يورد) بالبناء للمفعول وهو في الاصل الذهاب للشرب ضد الصدور (لها قبلُ في اكثر التصانيف) التي صنفت في هذا الشان (مشرع) هو في الاصل محل الماء المورد كالمنهل والمراد هنا كل ما يستفاد منه ولا يخفى وضوح الاستعارة في كل ذلك من قوله وكرعت فلا نطيل عليكم بتقريرها خصوصا وانتم ممن صبغت ايديكم بفن البيان (واودعته) اي جعلت فيه وديعة مسائل نفيسة وفصولا مهذبة محررة شريفة (غير ما فصل) اي فصول كثيرة وما وما زيدة لتاكيد الكثرة (وددت) اي تمنيت وهو في الاصل المحبة والصداقة ثم استعير للتمني (لو وجدت من بسط) اي بين وشرح من غير اختصار ووجود البسط هو المتمنى وآثر التمني على الرجي مبالغة في عدم الوجود (قبلي الكلام فيه) اي في بيانه مستوفى (او مقتدى) هو من جملة المتمنى اي او وجدت مقتدى اي احدا من العلماء المقتدى بهم (يفيدنيه) اي استفيدة منه اما عن (كتابه) الذي صنفه في هذا الغرض (او فيه) اي اسمعه من تقريرة لي بفمه وجواب لو محذوف اي لاستغنيت عن التاليف كذا قال المحقق الغرياني ولا يخفى انه غفل عن كونها للتمنى كما اسلفناه وهي لا تحتاج لجواب على التحقيق كما في قوله تعلى « ولو انهم آمنوا واتقوا لمثوبة من عند الله خير » انظر الاشموني وحواشيه

(ألا كتفى بما ارويه) مضارع بفتح الهمزة وسكون الراء والواو المخففة ثم تحتية وفاعله ضمير المتكلم من الرواية (عما ارويه) بضم الهمزة وكسر الواو المشددة قبلها راء مفتوحة اي احمل غيري على روايته علي اي اكتفى بالاول عن الثاني وفيه جناس بديعي لطيف قال الشهاب وجوز بعضهم في الثاني ضم الهمزة وسكون الراء من ارواه المزيد وهو نى حمل الغير على الرواية ايضا قال الشيخ الغرياني ويحتمل عندي على الوجه الثاني انه من الري ضد العطش اي لاكتفى بما ارويه عما ارويه واسقيه كناية عن الافادة قلت وهو صحيح ففي كتب اللغة ارواه جعله ريانا ولما كان تاليف هذا الكتاب من افضل الحسنات واشرف الطاعات واجل المهمات لشرف مرماه بالتعلق بسيد السادات وافضل الكائنات عليه افضل الصلاة وازكى التحيات ضرع له سبحانه والتجأ اليه في القبول ولم يغتر بمجرد العمل والحصول عملا بقول العارف بالله بن عطاء الله « رض » ربما فتح لك باب الطاعة وما فتح لك باب القبول وقضى عليك بالذنب فكان سبب الوصول وذلك لان قبول الطاعة ليس متوقفا على حصول عينها في الوجود الخارجي فقط بل للقبول شروط كالتقوى ومتابعة السنة والاخلاص فقال المصنف رحمة الله عليه والى الله جزيل الضراعة الخ وفيه ترجيح الدعاء على تركه لورود كتابا وسنة واجماعا لاكن بشروط منها التفويض لله تعلى وترك اختيارك مع اختياره كما قال العارف بالله الشيخ عبد العزيز المهدوي دفين المرسى « رض » من لم يكن في دعائه تاركا لاختياره راضيا باختيار الحق فهو مستدرج وهو ممن قيل له اقضوا حاجته فاني اكره ان اسمع صوته فان كان مع اختيار الحق لا اختياره

كان مجابا وان لم يعط والامور بخواتمها ولاجل هذا روي ان بعض الانبياء عليهم الصلاة والسلام سال الله تعلى فقال يارب ان بعض اوليائك تؤخر اجابتهم وغيره لا تؤخره له فقال له من اريد مناجاته أؤخر اجابته الى هنا كلامه وفي جواب للعز بن عبد السلام من قال لاحاجة لنا بالدعاء لانه لايرد ما قدر وقضى فقد كذب ويلزمه ان يقول لاحاجة بالطاعة والاكل والشرب الخ قال القاضي رحمه الله عملا بهذا (والى الله) وحده لا الى غيره كما هو مفاد تقديم المعمول

وما احسن قول بعضهم

اضرع الى الله لا تضرع الى الناس
واقنع بعز فان العز في الياس
واستغن عن كل ذي قربى وذي رحم
ان الغني من استغنى عن الناس

اي بالله (جزيل الضراعة) اي التذلل والخضوع الكثير من اضافة الصفة للموصوف (والمنة) اي الاحسان والانعام ومنه اسمه تعلى المنان | بقبول ما منه لوجهه | اي ما حصل لذاته الكريم خالصا عن الرياء | والعفو | اي التجاوز | عما تخلله | اي وقع في خلال كلامه في كتابه هذا | من تزين وتصنع | اي اظهار ما فيه زينة وتكلف صنعة كتحسين الالفاظ بالسجع وبهرجة العبارات | لغيره | اي لغير الله تعلى بل لاجل ان يمدحه الناس وهو مقام انصاف اذ لا يخلو فرد عن ذلك غالبا ولو كان عن معناه راغبا

فانت ترى الواحد من امثالي اذا اقبل على مجلسه احد من اهل الرئاسة

او من له مهارة في العلوم بذل جهده في تحسين التقرير ويود ان لو طالع اضعاف ما طالعه وهكذا اذا تكاثر عدد المنصتين والمصغين ينشط وبالعكس اذا قل عددهم او اعرضوا عنه فتنقص قواه وتخمد قريحته فاعتبروا معاشر الطلبة واختبروا انفسكم ولا تسلكوا طريق المغالطة وانظروا الفرق بيننا وبين من طلب العلم لوجه الله فامتثل واستقام. والدواء الناجع هو تيقن الموت ونزوله في القريب العاجل ولا تسمن الوجاهة حينئذ ولا تغني من جوع وبيده التوفيق | وان يهب لنا ذلك | اى يتجاوز عن مواخذتنا بما ذكر | بجميل كرمه وعفوه لما اودعناه | اى يعفو عن ذلك لاجل ما اوردناه في كتابنا هذا | من شرف مصطفاه وامين وحيه | صلى الله عليه وسلم وناهيك بها من وسيلة واكرم بها من فضيلة | واسهرنا به جفوننا | اى تركنا النوم والراحة ولم نطبق جفنا على جفن | لتتبع فضائله | اى الفحص عن فضائل المصطفى صلى الله عليه وسلم | واعملنا فيه خواطرنا | جمع خاطر وهو ما يقع في القلب | من ابراز خصائصه | اى اظهار ماخصه الله تعالى به من الامور الدنيوية « ووسائله » اي ما يتوسل به الى الله تعلى كالشفاعة العظمى من الامور الاخروية ويحمي اعراضنا اي يصون ابداننا فان العرض يطلق على ذلك ومنه الحديث في صفة اهل الجنة انما هو عرق يسيل من اعراضهم « عن ناره الموقدة » التي يعاقب بها من عصاه وفيه موافقة القرآن « لحمايتنا كريم عرضه » اي لصوننا كريم عرضه « ص » وهو موضع المدح وضده من الانسان ومنه فلان نقي العرض اي برى من ان يشتم او يعاب فحماه بذكر ما جمعه من الادلة المقتضية لقتل فاعله « ويجعلنا ممن لا يذاد اذا ذيد المبدل عن حوضه » اي

ممن لا يطرد اذا طرد وصد الـذى بدل دينه بردة او بدعة انظر شروح الجوهرة في قوله وقل يذاد من طغوا (ويجعله لنا) اراد نفسه ومن اخذ عنه (ولمن تهمم) اي اعتنى وقصد وعبر بالتفضيل للاشارة الى حصول بركة هذا الدعاء حتى لمن تكلف الاهتمام بهذا الكتاب كذا يوخذ من ابن قبرص وهو لطيف (باكتتابه واكتسابه) اي كتبه وتحصيله باي طريق فهو من عطف العام على الخاص « سببا » مفعول ثان ليجعل (يصلنا باسبابه) اي طريقا موصلا للطرق الموصلة للقرب للمولى عز وجل (وذخيرة) فعيله من الادخار وهل الاعجام والاهمال فيه لمعنى او الاول فيما ينجي في الآخرة والثاني في الدنيا (نجدها يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا) اي تجد جزاء اعمالها او صحف اعمالها من الخير حاضرة عندها لان الاعمال تعاد وتخص على قول او تجسد وتشاهد على قول آخر وقواه السيوطي في تاليف له فيه وفي كلامه اقتباس [نحوز بها رضاه وجزيل ثوابه] من اضافة الصفة للموصوف « ويخصصنا بخصيصي زمرة نبيئنا « ص » وجماعته » اي يميزنا بما عملناه والباء داخلة على الماخوذ وقد تدخل على المتروك والزمرة الطايفة والجماعة ومنه وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا اي طوائف والخصيص بكسر الخاء المعجمة وبكسر الصاد الممددة ثم مثناة تحتية وصاد مهملة والف مقصورة وتمد كما في القاموس وغيره مصدر بمعنى الاختصاص وهو الذي جزم به السيوطي ونسب غيره فيه للخطا والكذب وقيل انه مثنى خصيص بمعنى صديق واليه ذهب السخاوي وغيره وميزه بابي بكر وعمر رضي الله عنهما وشنع على ما قاله السيوطي حيث قال فمن نسب قائله الى الكذب هو الكذاب يستحق

التأديب كما في فتاويه واصل القصة ان الشيخ برهان الدين النعماني قرأها في الدرس بين يدي الكافيجي بالتثنية فرده الجلال السيوطي وكان حاضرا وقال انه خطأ فلم يقبله القاري وقال انه هو الصواب فكتب اليه الجلال بعد ذلك بما طالعته بعد البسملة الحمد لله الذي محن (١) العلماء والاشراف بمعاندة الجهال والاطراف الخ وعرض كتابته على علماء عصره فمن موافق ومن مخالف والحق احق بالقبول فان الذي يميل اليه الطبع السليم ما قاله الجلال مع كونه الرواية وكلكم راد ومردود عليه الاصاحب هذا القبر (ويحشرنا) اي يجمعنا (في الرعيل الاول) هو في الاصل القطعة من الخيل السابقة غيرها وفي اللسان يطلق على كل سابق من الخيل والطير والرجال والمراد هنا كل سابق للخير والفعل الحسن قال الله تعالى والسابقون السابقون اولئك المقربون (واهل الباب الايمن) اشارة الى قوله تعالى واصحاب اليمين (من اهل شفاعته) من بيانية اي ممن له صفة التاهيل لشفاعته وقد سلف ان له شفاعات منها الشفاعة لعلو الدرجات انالها المولى لنا من فضله (ونحمده تعالى على ماهدى اليه من جمعه) أي نثني عليه ثناء يليق بجلاله على توفيقه لجمع مافي هذا الكتاب وما تحتمل المصدرية والموصولية (والهم) الالهام مايلقى في الروع ومنه وحي الالهام (وفتح) اي وسع (البصيرة) اي قوة النفس الباطنية كمنزلة البصر الظاهرية وتطلق بمعنى الحجة ومنه بل الانسان على نفسه بصيرة اى حجة على نفسه (لدرك) بفتح فسكون اي ادراك (حقائق ما اودعناه وفهم) اي فهمه ايانا بفضله من غير حول ولا طول (ونستعيذه) اي

(١) اي اختبر

نطلب منه الاعاذة والمنع والتحصن والضمير لله تعالى ولذا قال (جل اسمه) اي عز اسمه (من دعاء لايسمع) اي من طلب لايستجاب فكنى بنفي السبب عن نفي المسبب (وعلم لاينفع) لعدم العمل به قالوا ان المتصف بذلك والجاهل سواء بل اقبح حالا كما صرح به علماء المعاني في تنزيل العالم منزلة الجاهل قال صاحب الكشاف في قوله تعالى ولقد علموا لمن اشتراه ماله في الآخرة من خلاق ولبئس ما شروا به انفسهم لو كانوا يعلمون فان قلت لم اثبت لهم العلم اولا على طريق التوكيد القسمي ثم نفاه عنهم بقوله لو كانوا يعلمون قلت لما لم يعملوا بعلمهم نزلوا منزلة الجاهل وساق كلام علماء المعاني وفي قولهم اسوأ حالا من الجاهل وقفة لان له نفعا في الجملة ليس للجاهل وهو نشر العلم واخذه عنه وفي حفظي انهم نصوا على العالم يستحق التعظيم من حيث العلم ولو لم يعمل ويرحم الله الشافعي اذ يقول

خذ من علومي ولا تنظر الى عملي ☆ واقصد بذلك وجه الخالق الباري
اهل الروايات كالاشجار مثمرة ☆ خذ الثمار وخل العود للنار

ولا يفهم من كلامي هذا ارتضاء عدم العمل فانه حينئذ شجر غير مثمر ومضيء على غيره ومحترق في ذاته وغير محصل على الضالة المنشودة وهي الفوز الاخروي ولذا قيل

يامن تقاعد عن مكارم خلقه ☆ ليس التفاخر في العلوم الزاخره
من لم يهذب علمه اخلاقه ☆ لم ينتفع بعلومه في الآخره

قال العلامة بن قبرص والاقرب ان يراد بقوله لاينفع لايظهر ولاينشر ولا يذكر بدليل قوله (وعمل لايرفع) اي الى الله رفع قبول

لخلوه عن الاخلاص وشوبه بالرياء قال تعالى والعمل الصالح يرفعه (فهو الجواد) بتخفيف الواو بمعنى الكريم الكثير الاعطاء وهو من اسمائه تعالى كما ذكره بن حجر ورواه الترمذي في جامعه في حديث صحيح واعتضد بالاجماع فلا التفات لمن انكره [الذى لايخيب] بوزن يزيد اى يحرم من الخيبه وهي عدم النيل وفي رواية بالتشديد فان الكريم لايخيب [من امله] اى قصده والرواية الاولى انسب بقوله [ولاينتصر من خذله] من الانتصار افتعال من النصرة وهي الاعانه اي لا يعان من خذله خذلانا اذا ترك نصرته والخذلان ضد التوفيق ومن خذله الله لا يستطيع احد نصرته

اذا كان عون الله للمرء ناصرا

تهيا له من كل صعب مراده

وان لم يكن عون من الله للفتى

فاكثر ما يجني عليه اجتهاده

[ولا يرد دعوة القاصدين] لسؤاله الراغبين في ذلك اذا توفرت الشرايط قال تعلى ادعوني استجب لكم وفي الحديث ان الله ليستحى ان يرديد عبده صفرا اذا رفعها [ولا يصلح عمل المفسدين] بل يمحقه ويبطله وهو اقتباس وحسبنا الله وفي نسخة وهو حسبي ونعم الوكيل لا نريد ان نسلك بكم مسلك السآمة بالاتيان على بسط ما في المطول وحواشيه من مسألة عطف الجملة الثانية على الاولى وما للسيد في الانتقاد على السعد وما قيل في القبول والرد بل نتحدث على هذه الجملة المباركة بما يناسب الكتاب مما يروق ويستطاب فنقول المراد من هاته

الجملة الثناء على الله وانه خير من يتوكل العبد عليه و يلجأ و يفوض امره اليه وقد جاء في فضلها اخبار وآثار فقد نقل جعفر الصادق رضي الله عنه انه قال عجبت لمن ابتلى باربع كيف يغفل عن اربع عجبت لمن ابتلى بضر كيف يذهب عنه ان يقول ربي اني مسني الضر وانت ارحم الراحمين والله تعلى يقول فاستجبنا له وكشفنا ما به من ضر وعجبت لمن ابتلي بالغم كيف يذهب عنه ان يقول لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين والله تعلى يقول فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين وعجبت لمن خاف كيف يذهب عنه ان يقول حسبنا الله ونعم الوكيل والله تعلى يقول فانقلبوا بنعمة من الله وفضل وعجبت لمن مكر به كيف يذهب عنه ان يقول وافوض امري الى الله ان الله بصير بالعباد والله تعلى يقول فوقاه الله سيئات ما مكروا وقال العارف بالله القطب سيدي ابو الحسن الشاذلي رضي الله عنه من اراد لن يكون الله حسبه و وكيله في جميع الامور ويكفيه الله شر جميع خلقه ويوتيه الله من سعة فضله فليقل كل يوم وليلة حسبنا الله ونعم الوكيل عدد حروفها ٤٥٠ مرة واحفظ ان للشيخ المذكور تاليفا حافلا سماه السر الجليل . في خواص حسبنا الله ونعم الوكيل .

وذكر الشيخ مصطفى البكري في شرح حزب النووي انه ورد في الخبر ان الله مانجى ابراهيم عليه السلام [اي من النار] الا حسبي الله ونعم الوكل ورى ابو نعيم عن شداد بن اوس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حسبي الله ونعم الوكيل امان لكل خائف وقد اخبر الله تعلى عن اصحاب النبيء صلى الله عليه وسلم بقوله

الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله روي ان ابا سفيان نادى عند انصرافه من احد يا محمد موعدنا موسم بدر القابل فقال عليه السلام ان شاء الله فلما كان القابل خرج ابو سفيان في اهل مكة فالقى الله الرعب في قلبه فبدا له ان يرجع فلقي نعيم بن مسعود الاسجعي وقد قدم معتمرا فقال يا نعيم اني واعدت محمدا ان نلتقى بموسم بدر وقد بدا لي ان ارجع فالحق بالمدينة فثبطهم ولك عندى عشرة من الابل فخرج نعيم فوجد المسلمين يتجهزون فقال لهم اتريدون ان تخرجوا وقد جمعوا لكم فوالله لا يفلت منكم احد فقال عليه السلام والله لاخرجن ولو لم يخرج معي احد فخرج في سبعين راكبا وهم يقولون حسبنا الله ونعم الوكيل حتى وافوا بدرا واقاموا بها ثمان ليال وكانت معهم تجارة فباعوها واصابوا خيرا ثم انصرفوا للمدينة سالمين غانمين ولم يكن قتال ورجع ابو سفيان الى مكة فسمى اهل مكة جيشه جيش السويق وقالوا انما خرجتم لتاكلوا السويق

فجعل سبحانه خاصية هذا الذكر لمن قاله باخلاص جريان النعمة والفضل وصرف السوء وحصول التوفيق .

ثم عرض بالزيادة على ذلك اذ قال والله ذو فضل عظيم وقد كان نقش خاتم مالك الامام رضي الله عنه حسبنا الله ونعم الوكيل فقيل له في ذلك فاجاب بما ذكرناه فافهم . والله سبحانه وتعلى اعلم .

دعاء الختم

نحمدك يامن كفى من فوض اليه اموره . وافاض عليه نعمه وروده وصدوره . انت الهادي الى سبيل الصلاح والرشاد . والممد بانواع الخيرات والامداد . انت الشافي ادواء . قرائحنا بهذا الشفا فلم يمسها قرح والمقوى ارواحنا لتلقي معاني هذا الفتح . والمعين على مجاوزة هذا الخضم الذي لايقطع بسبح . والمفيض باحسانه فيضا قوى قلوبنا على طلوع مرقاة هذا الصرح . اللهم سدد افعالنا واقوالنا . وصيرها بكلمة التوحيد اقوى لنا . واصلح سرنا واعلاننا . وازل بمنك اغلالنا وصيرها اعلى لنا .

اللهم اجعل نفحات مسك هذا الختام متمسكا . وعرفات معارفه متنسكا . اذ واسطة عقد هذا الختام . التعريف بالواجب من حقوق سيد الانام . وافتتحنا به باب الصلاة والسلام . واختتمناه بطلب الوسيلة وما وعد به من المقام .

ونسأل الله ان يدخلنا في عموم شفاعته . العظمى . وان لا يخرجنا من حماه الاحمى وان يسبغ علينا وعلى قطرنا سوابغ الالطاف . وان يدرجنا في دُرج دَرج اهل الانصاف . وان يجعلنا ممن منه لا من غيره نخاف فما ظلم وما ملق وما حاد وصاف

اللهم انا نسألك عيشا قارا وعملا بارا ورزقا دارا وعافية كاملة ونعمة شاملة فانه لاغنى بك عن خيرك ولا معول لنا على احد غيرك .

اللهم اغفرلنا ولمن غاب من اخواننا عنا . ولمن امن على هذا الدعاء ممن سمعه منا ...

اللهم ارحم من عودنا بحضور مثل هذا المجتمع ولي نعمتنا وشيخنا الوالد . من فقده هون علينا الطارف والتالد

اللهم حقق مقره في اعلى عليين بفضلك في الجنة . واجعل رضاه حرزا لنا من غضبك وجُنه

اللهم اجعلنا من اهل البصائر . وممن علم انه الى الله صائر . فهو في هذه الدار كالغريب المسافر . وانه سيصير كالمثل السائر .

وصل اللهم على قطب دائرة الكمال . ومنبع الجلال والجمال . من لا يمكن ان نفي بمدحه بالاطناب والايجاز . لبلوغه منتهى الشرف ودلائل الاعجاز . وارض عن الآل والاصحاب نجوم الهداية ومن وصلوا في الفضل الغاية والنهاية ما تتابعت الاختام الحديثية في مثل هذا الشهر الاصب الكريم وتليت عندها العتاقة الصغرى مائة مرة سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم حرره بقلمه الفاني محب الحضرة النبوية المتفاني محمد الصادق النيفر في مساء يوم الجمعة الخامس عشر من شهر رجب عام تسعة وثلاثين وثلاثمائة والف



ابيات العادات عند العرب

نشرت سنة ١٣٣٧ في جريدة «المفيد» الدمشقية بحثاً مما استقصيته من اشعار العرب الوارد بها ما يستدل به على بعض من عاداتهم وقد عثرت بعدها على طائفة من هذه الابيات التاريخية فاحببت نشرها على صفحات «الفجر»

من عادات العرب ان الناقة اذا لم تدر شدوا فخذها بعصاب فعند ذلك تدر . قال الحطيئة :

تدرون ان شد الوثاق عليكم * ونابى اذا شد العصاب فلا ندر

وقال الكميت :

وفي السنين الغيوثُ باكرةً * اذ لا يُدِرُّ العصوبَ معتصبُ

المعتصب الذي يعصبها لتدر ، وقال بعض بني عبس :

«اذا ما ابينا لا ندر لعاصب» اه اي لا نعطى على القسر

(ومنها) شدهم الرايات في رؤوس الرماح ويدل عليه قول عدي بن الرقاع

لهم راية تهدي الجموع كانها * اذا خطرت في ثعلب الرمح طائر

وثعلب الرمح طرفه الداخل في جبة السنان – والجبة من السنان ما دخل فيه الرمح .

(ومنها) انهم كانوا يعدون خفقان البرق فاذا عدوا له اثنتين وسبعين لمعة علموا ان الحيا في اثره ، قال امرؤ القيس :

اصاح ترى برقاً اريك وميضه * البيت

ويروى اعنيّ على برق اي اعني على عده . ثم قال :

قعدت له وصحبتي بين جامر * وبين لكامٍ بعد ما متأمل

اي قعد هو واصحابه لذلك البرق يعدونه او ينظرون من اين يجيء

(ومنها) ان نساءهم في الجاهلية كانت احداهن اذا مات عندها زوجها اعتدت عليه سنة لا تخرج من بيتها فاذا تم الحول فمر كلب رمته ببعرة ثم خرجت من بيتها . وقد اشار لبيد الى ذلك في معلقته فقال :

وهم ربيع للمجاور فيهم * والمرملات اذا تطاول عامها

(ومنها) انهم كانوا يرسلون مع الوحش جملا يرعى معها حتى تانس به ولا تنفر منه فاذا اراد مريد ان يصطاد الوحش استتر بذلك الجمل حتى اذا دنا من الوحش رمى ، قال الراعي :

وللمنية اسباب تقربها * كما تقرّب للوحشية الذرع

والذرع جمع ذريعة وهو الجمل الذي يرسل مع الوحش ويقال له الدرية ايضا

(ومنها) كانوا يضربون الماء على ضرع الناقة ليرتفع لبنها الى ظهرها فتسمن ، قال شاعرهم :

لا تكسع الشول باغبارها * (البيت)

الكسع ضرب الماء على ضرع الناقة والاغبار جمع غُبر وهو بقية من اللبن تبقى في الضرع . وبعد البيت

واصبب لاضيافك البانها * فان شر اللبن الوالج

واللبن الوالج هو ما يرد في ضرع الناقة فلا يسقى منه احد

(ومنها) في الجاهلية اذا ارتهن الرجل منهم رهنا الى اجل فاتى الاجل ولم يفك الرهن صاحبه استوجبه المرتهن عوضا من حقه ولم يكن لصاحبه ان يفكه ابدا وقد ضرب به زهير المثل فقال :

وفارقتك برهن لا فكاك له * يوم الوداع فامسى الرهن قد غلقا

اراد بالرهن قلبه ، وقوله قد غلقا اي لم يكن له فكاك

(ومنها) انهم كانوا يتجاورون في الشتاء لعدم الخصب وكثرة الغارات من

بعضهم على بعض فاذا وافى المصيف رجع كل جار الى محضره واهله . قال زهير :

وجار سار معتمدا اليكم ٭ اجاءته المخافة والرجاء

فجاور مكرما حتى اذا ما ٭ دعاه الصيف وانقطع الشتاء

اجاءته اي صيرة اليكم . وقال ذو الرمة :

ايام هم النجم باستقلال ٭ ازمع جيرانك باحتمال

النجم الثريا (١) واستقل ارتفع اي طلع مع الفجر ويكون في بحبوحة القيظ واشتداد الحر . وازمع عزم . والاحتمال الانصراف .

(ومنها) انعالهم الخيل بالحديد وقد دل عليه قول مالك بن بلالة بن ارحب

امرت باتيان اللجام فابدعت ٭ وانعلت خيلي في المسير حديدا

وارحب جدي كان احدث قبلنا ٭ ولو نطقت كانت بذاك شهودا

قوله ارحب جدي هو ارحب الهمداني وهو اول من انعل الخيل بالحديد من العرب

(ومنها) انهم كانوا يحبون الخيل ويبالغون في اكرامها وكان الرجل منهم يبيت جائعا ويشبع فرسه ويؤثره على نفسه وعياله دل على ذلك قول خالد بن جعفر بن كلاب يصف فرسا

واوصى الراغبين ليؤثروها ٭ لها لبن الخلية والصعود

الصعود الناقة يموت حوارها فترجع الي فصيلها فتدر عليه ويقال هو اطيب للبنها . والخلية من الابل التي خليت للحلب وقول مالك بن نويرة :

اعلل اهلي عن قليل متاعهم ٭ واسقيه محض الشول والحي ضائق

---

(١) ومنه قول عمرو بن الاهتم بن سمي السعدي المنقري :

« وقد حان من نجم الشتاء خفوق » ٭ فالنجم هنا الثريا وذلك انها تخفق للغروب جوف الليل في الشتاء وطلوعها في ذلك الوقت عند المغرب والخفوق السقوط

وقول رجل من بني تميم وقد طلب منه ملك من الملوك فرسا يقال لها سكاب فمنعه اياها

ابيت اللعن ان سكاب علق * نفيس لا تعار ولا تباع

مفداة مكرمة علينا * تجاع لها العيال ولا تجاع

سكاب اسم الفرس . والعلق النفيس

(ومنها) ان الواحد منهم كان اذا اجتاز بقبر كريم كان مأوى للاضياف ينحر راحلته ويطعمها للناس اذا لم يجد زادا يفعل ذلك الا ان يمنع مانع من بعد سفر وما يجري مجراه قال حفص بن الاحنف الكناني لما مر بقبر ربيعة بن مكدم

لولا السفار و بعد خرق مهمه * لتركتها تحبو على العرقوب

(ومنها) ان يستعير الرجل من الرجل ابلا فيشرب البانها وينتفع باوبارها قال زهير يمدح سنان بن ابي حارثة المري :

هنالك ان يستخبلوا المال يخبلوا * (البيت)

واستخبله اذا اعاره فرسا ليغزو عليه او ناقة لينتفع بلبنها ووبرها

(ومنها) تقنع الجميلات من نسائهم خارج الخدر قال عمر ابن ابي ربيعة :

فلما تفاوضنا الحديث واسفرت * وجوه زهاها الحسن ان تتقنعا

(اي لما تفاوضنا الحديث واسفرت وجوه نساء زها هذه المراة حسنها ان تتقنع)

(ومنها) اذا وردوا المياه ان يتقدم الرجال ثم العظاريط والرعاة ثم النساء اذا صدرت كل فرقة عنه فكن يغسلن انفسهن وثيابهن ويتطهرن آمنات مما يزعجهن غير مستعجلات . فمن تاخر عن الماء حتى يصدر النساء فهو الغاية في الذل قالت كبشة

فان انتم لم تثأروا واتديتم * فمشوا بآذان النعام المصلم

ولا تردوا الا فضول نسائكم * اذا ارتملت اعقابهن من الدم

قوله فمشوا بفتح الميم اي امشوا وروي بضم الميم ومعناه امسحوا بالمشوش

وهو منديل يمسح به الدسم والصلم قطع الاذن من اصلها . ويقال ترمل وارتمل اذا تلطخ بالدم وقد كنت بالبيتين عن الذل

(ومنها) ان الطلاق كان عندهم في الجاهلية ثلاثا دل عليه قول الاعشى الاكبر وقد تزوج امرأة فلم يرضها ولم يستحسن خلقها فطلقها وقال :

ايا جارتي بيني فانك طالقه * كذاك امور الناس غاد وطارقه

وبيني فان البين خير من العصا * والا ترى لي فوق راسك بارقه

وما ذاك من جرم عظيم جنيته * ولا ان تكوني جئت فينا بائقه

وبيني حصان الفرج غير ذميمة * وموموقة فينا كذاك ووامقه

البائقه الجريمة . وموموقه معزوزة ومحبوبة . وبيني ابتعدي . اه فبهذه الابيات استدل بعضهم على ان الطلاق في الجاهلية كان ثلاثا وذلك لان الشاعر كرر لفظة بيني في ثلاثة ابيات

(ومنها) تشاؤمهم بالعطاس وسبب تطيرهم منه دابة يقال له العاطوس يكرهونها قال المسيب بن علس

ارحلت من سلمى بغير متاع * قبل العطاس ورعتها بوداع

قوله قبل العطاس لانهم كانوا يتشاءمون به وقال رؤبة

« لا يلتوي من عاطس ولا نغق » *

يقول لا يتطير ان سمع عاطسا او صوت غراب

(ومنها) قرع العصا لمن يغلط كي يثوب الى الصواب قال عامر بن الظرب

وزعمتم ان لا حلوم لنا * ان العصا قرعت لذي الحلم

قال ثعلب : المعنى انكم ان زعمتم انا قد اخطأنا فقد اخطأ العلماء قبلنا وقال المتلمس :

لذي الحلم بعد اليوم ما تقرع العصا * وما علم الانسان الا ليعلما

وقال عمر بن ابي ربيعة :

وقد قرعت في وصل هند لك العصا * قديما كما كانت لذي الحلم تقرع

(ومنها) ان الشجاع منهم كان اذا اسر فارسا مذكورا جزّ ناصيته وجعلها في كنانته قال الشاعر :

قد ناضلوك فسلوا من كنانتهم * مجدا تليدا ونبلا غير انكاس

(ومنها) ان ملوكهم كانوا يجعلون قبابا من ادم ولا تكون لغيرهم قال امرؤ القيس :

ابعد الحارث الملك بن عمرو * وبعد الخير حجر ذي القباب

ذكر في هذا البيت اباه واجداده وذكر انهم ملوك وخصهم بالقباب ، والقبة من ادم . ولا تكون الا للملك

(ومنها) ان الرجل منهم كان يخلع لجام فرسه فيتقلد به ليكون ساعة الفزع والحاجة الى الركوب قريبا منه قال زياد بن منقذ :

ليست عليهم اذا يغدون اردية * الا جياد قسي النبع واللجم

الجياد مفرده جيد . وقال لبيد :

ولقد حميت الحي تحمل شكتي * فرط وشاحي اذ غدوت لجامها

الشكة السلاح . وفرط فرس متقدمة سابقة

(محمد المكي بن الحسين)



بطل مقامات الحريري

ابو زيد السروجي

يوجد في كل امة نوابغ اختصهم الله بفصاحة عالية و بلاغة ساميه واقتدار على تصويرا لطف الاحساسات واخفى ما تكنه الصدور اولائك هم الكتاب والشعراء ولا يخلو منهم زمان ولا مكان

هاموا في كل واد. وجابوا الجبال والوهاد. وقطعوا كل فج و ولجوا كل لج ثم ماتوا وتركوا لمن تلاهم من الاجيال آثارا محفوظة وآراء فلسفية كانت موضع النقد والبحث على ممر العصور فولع عشاق الفنون المستظرفة بها ودونوها ثم شرحوها وحملوها الناس مهذبة منقحة . . . فلذلك نجد في كل ما حفظته الصف قوتين عظيمتين تتنازعان العالم الفكري . الاولى تخترع وتبدع . والثانية تدرس وتنتقد . وهما منشأ الفنون . ومصدر المعارف . لاتستغنى احداهما عن الاخرى اجل . لا يستغنى فن الانتقاد عن الاداب . ضرورة ان المعلول لا يوجد بدون وجود العلة . كما ان الاداب لا تستغنى عن الانتقاد فهو حامي ذمارها . و المدافع عن حوزتها فلولاه لضاعت الاداب شذر مذر . ولتقوى جيش المتطفلين على المجيدين واختلط الحابل بالنابل . فالمنتقد ـ ان كان من اهل الذوق اللطيف . والطبع السليم . يميز الغث من السمين بل كثيرا ما يبين مما استمر من محاسن المعاني .

لذلك اشترط علماء الغرب . الذين حازوا قصب السبق في هذا المضمار . في المنتقد ما ياتي :

اولا : ان ينظر الى التصنيف في حد ذاته . فيختبر تراكيبه واسلوب انشائه كما يميز محاسنه من عيوبه .

ثانيا : ان ينظر الى المصنف وترجمة حياته . وخلقه . والوسط الذي نشأ فيه . والمذهب الذى توخاه في تاليفه .

ثالثا : ان يقابل التصنيف المنتقد بالتصانيف التي تشاكله في النوع سواء تقدمت عليه او كانت معاصرة له .

رابعا : ان يدرس ما يريد انتقاده بالنسبة الى آداب اللغة التي الف فيها الكتاب . وان اقتضى الحال موازنته بالكتب التي الفت في نسقه باللغات الاجنبية عنه

خامسا : اظهار قيمته من الوجهتين الاجتماعية والادبية . وابداء روح مؤلفه في شكلها الحقيقي من غير هجو ولا اطراء

لذلك كان للانتقاد اهميه عظيمة عند الغربيين فقد افردت له المجلات . والجرايد الكبرى محررين اخصائيين يكتبون فيه الفصول الضافية . ولم يقتصروا على الانتقاد الادبي بل تفننوا في الانتقاد التاريخي . والفلسفي . والتمثيلي . والموسيقي والتصويري . فكان ذلك اعظم مساعد على تحسين الفنون المستظرفة . وترقيها

ولم يقتصروا على ما الف في ذلك بلغتهم بل اشتغلوا بما الف فيها باللغات الاجنبية . فدرسوا آدابها ثم قابلوها بآدابهم وكم ارانا العلماء المستعربون كنوزا استخرجوها من اللغة العربية كنا عنها غافلين

ومن هؤلاء مسيو دوما ـ متفقد المدارس الاهلية بالجزائر ـ فقد قدم لنا اخيرا دليلا ساطعا على اعتنائه بلغتنا التي عقها ابناؤها مع انه لم ينخرط في سلك

المستعربين الامنذ عهد قريب فدرس اللغة العربية درس من لا يكل ولا يمل . ثم اهدى لنا ثمرات جده . ونتيجة اجتهاده في كتاب سماه « بطل مقامات الحريري ابو زيد السروجي » وانه لكتاب نفيس حوى من عرايس الافكار ما يستاسر الافئدة ويمتلك القلوب - اجال المؤلف نظرة عامة على رباض الاداب العربية فاستوقف نظره اثر نفيس لم تزده تصرفات الزمان الاعظمة ومكانه . وهذا الاثر الخالد هو « مقامات الحريري »

عرف مقدار الرجل فحقق انه وهب جميع المواهب . واتصف بجميع الخلال التي يتصف بها اعظم الكتاب . كيف لا وهو المتصرف في فنون النثر والشعر حسن المشرب . منقح المذهب . وزيادة على بيانه الساحر . وكلامه الفتان فمخيلته التي اخترعت ابا زيد السروجي . وشخصته للقاري في ثوبه العجيب وطمره الغريب لمن مخيلات مشاهير المنشئين . وفطاحل الكتاب .

راى هذا الباحث المدقق ان مقامات الحريري . وان فسرت مفرداتها وحلت مشكلاتها وعلقت عليها الشروح الطوال . فان بطلها النادر الوجود لا زال متقنعا بقناع الاختفاء .

حقيقة ان السروجي لشخص نادر الوجود يتلون تلون الحرباء ويمثل الادوار المتضادة باتم اتقان .

فنحن تارة نراه بلباس المكدى . الهايم على وجهه ينجد ويتهم . ويصحر ويبحر حاملا لواء الجيش الساساني . واخرى نشاهده خطيبا واعظا . يذيب القلوب القاسية بزواجر وعظه . وحينا نبصر به اديبا شاعرا ينفث السحر الحلال

ويأخذ اللفظ فضة فاذا ❀ ماصاغه قيل انه ذهب

وطورا تلاقيه محتالا مخادعا. لم يترك بدعة الا ابتدعها. لجلب الاصفر الرنان يقتحم المهالك بجراءة الاسد فيخرج ظافرا منتصرا.

فما هي الاوصاف الاولية التي اتصف بها هـذا الشخص النادر الوجود؟ ومن اين تكوّن هذا الخلق العجيب؟ وما هي قيمته الادبيه والاجتماعية؟ وهل يوجد في العالم الادبي شخص خيالي على شاكلة ابي زيد السروجي؟

هذه هي المسائل التي اتخذها مسيو شارل دومـا محورا لبحثه ولعمري انه افاد واجاد. وبرهن على قريحة حـادة. وفكر وقاد. مع اعتـدال في الحكم. وانصاف في الانتقاد. ودونك مثالا من انتـقاداته الصائبة. فقد قال ما ملخص معناه

اشتغل ابو زيد بالتحسينات اللفظية اشتغالا الهاه عن المقصود من البلاغة اعنى التاثير على من وجه له الخطاب. والقاء نفس كلام الكاتب او الخطيب في قلب القارى او السامع. فمن كلام ابي زيد ندرك تضلعه في اللغة كما ندرك الحد الذي وقف دونه

فهـو شاعر فصيح لكنه لا يهتم بالشعور الذي يبعث روح الشاعرية في التآليف اهتمامه بانتقاء المفردات. وانتخاب الجمل المزخرفة بانواع التورية والجناس. وهو خطيب مصقع غير ان الشكل الظاهري لخطبه اعلى قيمة لديه من الغرض منها اذ كان همـه الخوض في لجج الكلام ليستخرج جواهر الالفاظ الفريدة ثم نسجها في عقد يخلب بتلألئه الانظار ومن تأمل - في المقامة السـادسة - الرسـالة التي احدى كلماتها

معجمة والاخرى مهملة ـ وراى انها كانت محل اعجاب المعاصرين وسببا في تفضيلها عند المتاخرين .علم مذهب ابي زيد في فن الانشاء . لان هاته الرسالة بقطع النظر عن الفاظها الدرية ـ وجملها العبقرية ـ وشكل رسمها العجيب ـ ليس لها قيمة عظيمة في فن الخطابة بحيث لو ترجمت للغة اجنبية لفقدت كل طلاوتها الظاهرية .

وان في كلام امرئي القيس وطرفه والنابغة وغيرهم من شعراء الجاهلية الذين وضمهم السروجي في هاته المقامة بالعظام الرفات لاحساسات سامية ووجدان لطيف بقيت وستبقى الى الابد . والرسالة الرقطاء ـ في المقامة السادسة والعشرين ـ والحكم التي تقرأ طردا وعكسا في المقامة السابعة عشر والاحاجي النحوية وغيرها تحقق لنا ان ابا زيد من الذين يقدمون اللفظ على المعنى بل يجعلون المعنى خادما للفظ

على اننا نبخس قيمة ابى زيد ولاننصفه ان زعمنا ان يراعه يقف عند هذا الحد فهو وان ضحى اقتداره في ارضاء ذوق ذلك الزمان فاحيانا يظهر بمظهر الشاعر الحقيقي . يتدفق من عباراته شعور عالي وجمال وجلال . لاسيما اذا تذكر مسقط راسه سروج التي فارقها رغم انفه لوقوعها بين يدي الافرنج في اوايل القرن الحادي عشر للميلاد ففي آخر المقامة الثلاثين انشد بعد ما تنفس الصعداء . واسبل غروب الدموع

مسقط الراس سروج . وبها كنت اموج

بلدة يوجد فيها ، كل خير وبروج

وردها من سلسبيل . وصحاريها مروج

وبنوها ومغانيهم نجوم وبروج

حبذا بهجة رياها ✿ ومرءاها البهيج
وازاهير رباها ✿ حين تنجاب الثلوج
من رءاها قال مرسى ✿ جنة الدنيا سروج
ولمن ينزاح عنها ✿ زفرات ونشيج
مثل ما لاقيت مذ ✿ زحزحني عنها العلوج
عبرة تهمى وشجو ✿ كلما قر يهيج
وهموم كل يوم ✿ خطبها خطب مريج
ومساع في الترجى ✿ قاصرات الخطو عوج
ليت يومي حم لما ✿ حم لي منها الخروج

وفي المقامة الثالثة والاربعين :

سروج مطلع شمسي ✿ وربع لهوي وانسي
لكن حرمت نعيما ✿ بها ولذة نفسي
واعتضت عنها اغترابا ✿ امر يومي وامسي
مالي مقر بارض ✿ ولا قرار لعنسي
يوما بنجد ويوما ✿ بالشام اضحي وامسي
ومن يعش مثل عيشي ✿ باع الحياة ببخس

وفي المقامة السادسة والثلاثين قال :

كل شعب لي شعب ✿ وبه ربعي رحب
غير اني بسروج ✿ مستهام القلب صب
ما حلالي بعدها ✿ حلو ولا اعذوذب عذب

وغير ذلك مما يثبت ان سروج وهي التي اسبلت دموع الاخلاص

الحارة من عيني ابي زيد . وفراقها هو الذي القي في قلبه الحزن والكئابة فكانا سببا في انارة شعره . فنطق فؤاده بلهجة لاينطق بها الا اكابر الشعراء

اما قيمة ابي زيد الاجتماعية الادبية . فقد نقل مسيودوما انتقاد الفيلسوف الفرنسوي رينان Renan عليه . وقال انه حكم قاسي .

فرينان . ذلك الفيلسوف الذي يجعل الفضيلة فوق كل شيء يدعي ان ابا زيد اهان الاداب ووضع من قدرها . لانه استعمل معلوماته النحوية واستخدم معارفه الادبية في انواع متعددة من الحيل للحصول على دريهمات . ولذلك لم يرله مشابها في العالم الادبي الا بعض اشخاص محليين لايخرجون عن دائرة الوسط الذي نشأوا فيه . مثل بعض متطفلي القرن السادس عشر الذين كانوا يعيشون من احاجيهم النحوية والغازهم البديعية في البلاد الطليانية .

انه رغما عن مكانة هذا الفيلسوف . وعلو مقامه . ففي كلامه نظر لنفرض ان الخديعة صفة اولية من صفات ابي زيد ولنعترف ايضا انه لايملك ذلك الاحساس الذي يرفع الانسان من ذات الصدع . الى ذات الرجع فهل نستنتج انه مخصوص بجنسه وزمانه وانه لايمكن ان يشارك . في الخلق الانساني العام . الاشخاص العديدين الذين اخترعتهم مخيالات الكتاب ؟

ثم لاحظ مسيودوما ان آداب القرون الوسطى الفرنسوية اعني من عهد سان لويز الى القرن الخامس عشر كانت احط من مقامات الحريرى من الوجهة الادبية الاجتماعية . كما لاحظ انه يوجد مشابهون للسروجي في الطبقة الاولى من الادباء الفرنسويين من غير ان يُفزع الى متطفلي

القرن السادس عشر بايطاليا . وهذا الشخص هو بنورج Panorge بطل تآليف رابلي Rablais الذى لم يفطن له رنان مع ان رابلي من مشاهير القرن السادس عشر . فاذ انتقدنا على السروجي أفلا يجب علينا ان ننتقد على بنورج ؟ فاذا كان ابو زيد اخترع حيلا لطيفة مضحكة للحصول على بعض الاموال . فبنورج له ثلاث وستون وسيلة للحصول على حاجياته

انتقد رينان على السروجي القاء مسئولية خطيئاته على الدهر وقال انه يتمادى على عمل الرذيلة لان ضميره ممسك عن توبيخه ولو قابل رينان بين البطلين لوجدان مذهب بنورج اخس وادنى . لانه لم يكتف بالمخادعة بل حاول سترها بحجاب كثيف من الخيانة . اما السروجي فانه وان صير وعضه احبولة ـ فصراحته تمحو ذنوبه . لانه يعترف بما قدمته يداه . غيرانه يفتخر تارة بفعلته الشنعاء : كما في المقامة الرابعة عشر.

يا ليت شعري ادهرى ☆ احاط علماً بقدرى
وهل درى كنه غورى ☆ في الخدع ام ليس يدرى
كم قد قمرت بنيه ☆ بحيلتي وبمكري
وكم برزت بعرف ☆ عليكم وبنكر
اصطاد قوماً بوعظ ☆ وءاخرين بشعر

وتارة يعترف بذنبه . ولكنه يلقي المسئولية على كاهل دهره كما في المقامة السابعة .

ولما تعامى الدهر وهو ابو الورى ☆ عن الرشد في انحائه ومقاصده
تعاميت حتى قيل اني اخو عمى ☆ ولا غروان يحذو الفتى حذووالده

فينتج من جميع ماتقدم ان رابلي Rablais رغماً عن معرفته اللغات

الشرقية لم يطلع على مقامات الحريري وعليه فلا محيص من القول بان كاتبين عظيمين اتفقا على اختراع شخصين خياليين متشابهين . وهما وان كانا متعاصرين فالوسط مختلف . فقول رينان Renan ان السروجي لا يمكن تصوره خارج العالم الاسلامي وانه شخص محلي بزمنه ووسطه غير مطابق للحقيقة . ولم يكتف مسيو دوما في الرد على رينان بمقابلة السروجي بينورج . بل وجدله زميلا آخر : سكابين Scapin في تاليف رءيس المذهب الكوميدى موليار ......

وكأن الحريرى استشعر هذا الانتقاد فقد قال في مقدمته :

« على اني وان اغمض لي الفطن المتغابي . ونضح عني المحب المحابي . لا اكاد اخلص من غمر جاهل . او ذى غمر متجاهل . يضع مني لهذا الوضع . ويندد بانه من مناهي الشرع » ولم يكلف غيره موونة الجواب حيث قال :

« واذا كانت الاعمال بالنيات . وبها انعقاد العقود الدينيات . فأى حرج على من انشأ ملحا للتنبيه لا للتمويه . ونحى بها منحى التهذيب لا الاكاذيب . وهل هو في ذلك الا بمنزلة من انتدب للتعليم . او هدى الى سراط مستقيم »

« على انني راض بان احمل الهوى ☆ واخلص منه لا علي ولا ليا »

واني اختم هذا الفصل بتقديم عبارات الثناء الخالص للمؤلف المحترم كما نعلق الامال على ادباء اللغة العربية في النسج على هذا المنوال لاحياء مادرس من لغة الاسلاف الكرام .

خمار بلقاسم الجزايرى

الاسلام وسياسة الحلفاء

في اوائل العام الماضي ظهر في عالم المطبوعات كتاب تحت العنوان اعلاه للدكتور انسباطو المستشار السياسي بوزارة خارجية اطاليا نقلته الى اللغة الفرنسية الكاتبة البليغة الانسة « ماقالي بدانام » فاحببنا تلخيص ما حواه هذا الكتاب انهم لقراء الفجر ليكونوا على خبرة مما تخطه اليوم اقلام المفكرين الاجتماعيين بالقارة الاروبية في المباحث الهامة الخاصة باحوال الممالك الاسلامية

قال الدكور انسباطو انه لا يخفى ان السياسة الاستعمارية لا يمكن ان تكون واحدة في كل الجهات والاقاليم وانها تختلف طبعاً باختلاف الممالك وتباين عادات واخلاق سكانها مع مراعاة مصلحة كل مستعمرة بانفرادها وعقائد اهاليها وانتمائهم المذهبي بخلاف السياسة العامة فانها واحدة في جميع الانحاء لانها مرتكزة على معرفة احوال الاسلام الاساسية التي لم تتغير قط اذ بالرغم عن الهجمات الخارجية والانقسامات الداخلية فان الاسلام من حيث جوهره لم يتبدل لما للمدنية التي تولدت منه من الصبغة العالية ذلك لان الاسلام كان احسن طريقة للوفاق والتآخي بين الامم التي اعتنقته على اختلاف عنصرياتها وتباين اجناسها واهم سبيل للتعارف الروحي وهذا هو سر قوته وسرعة انتشاره الى اليوم انتشارا حار في تعليله فطاحل العلماء — ومن هنا ندرك اهمية الثمرة التي يجنيها السياسي الحاذق الذي يعرف كيف يستخدم تلك الآلة الدقيقة بنباهة وفطنة ولا شك ان درس حقايق الدين الاسلامي على هذه الصورة

سيعين على ازالة جميع الخرافات التي يرجوونها ضد الاسلام واخص بالذكر منها مايسمونه بالبانسلامزم (التعصب الاسلامي) الذى يصورون به الاسلام في شكل هيئة مخيفة تترصد الفرص للقضاء على الكفار بيد ان الاسلام يظهر لمن عرف اسراره في زى مخالف لذلك على خط مستقيم حيث انه المدنية الوحيدة التي اكتنفت في صلبها كل العقول على تبائن مشاربها وافسحت مجالا واسعاً لكل المساعى الصادقة ولو اختلفت طرائقها كيف لا والاسلام دين التسامح والكرم الانساني وهما صفتان ما وجدتا في قوم او مدنية الا ونهضتا بها الى ارقى واحسن الدرجات الاجتماعية؟ ولا ينقص الامم الاسلامية اليوم لبلوغ تلك المرتبة العالية الا مساعدة امة اروبية لا تخفى تحت كلمات الرقى والتهذيب والحرية والاخوة التي تنشرها على الويتها نية الاسترقاق السياسي والاقتصادى الذى تنفر منه كل نفس ابية — اذن فلا خوف مما يسمونه بالبانسلامزم الذى ليس هو الا آلة مرعبة اتخذها اولئك الا نتفاعون الذين يدعون معرفة الاسلام وهم عنه بعيدون وما الحوادث المنسوبة للبانسلامزم الا حركات فكرية عادية لاخوف منها بل ربما افادت المدنية بكيفية مهولة لو استخدمت لهذه الغاية الشريفة ولذا لم يعد هناك موجب للسياسي الاوربي ان يعتني بغير مركز العالم الاسلامى الاقتصادى ذلك لان الاسلام من حيث كونه قوة عاملة في الحياة الاقتصادية يقدر ان يغني او يفقر الممالك التي لها علاقة به .... »

ثم نظر الدكتور انسباطو نظرة اجمالية في الاساليب الاستعمارية

التي تسلكها الدول الاوروباوية بمستعمراتها فابدى رايه في كل منها ومما قاله في هذا الشان : « ان سياسة فرانسا بالممالك التابعة لها وان نالت الارجحية نظرا لما امتازت به عن غيرها من حرية الادارة والتسامح الفكرى الا انها تفتقر الى فكرة ادارية واسعة اذ بدونها لايمكن الحصول على الثمرة المطلوبة من الاعمال العظيمة التي قامت بها هناك »؟ ثم قال « انه يجب ان ترتكز سياسة البلاد الاسلامية على معرفة نظامات الاسلام معرفة دقيقة » ومن هنا انتقل المؤلف الى درس السلطة في الاسلام والقواعد التي تستند عليها فاتى في هذا البحث العويص بافكار دلت على تضلعه في الفقه الاسلامي وتاريخ المسلمين فقال « ان القرآن الكريم والحديث الشريف واعمال الخلفاء الراشدين هيى الاصول التي قامت عليها الديانة الاسلامية وحياة الامم الخاضعة لاحكامها وان من اراد ان يفهم شؤونهم وحملهم على المشاركة السياسيه يجب عليه ان يقبل مبدأيا بكافة قواعد دينهم لانه لا سبيل للتفاهم مع المسلمين الا اذا عرفوا كما هم لا كما يراد ان يكونوا وان الصعوبة الوحيدة التي تعترض السياسي في هذا الطريق انما هيى التمييز بين مالا يتبدل في الاسلام وما هو قابل للتغير والتطور والانطباق على الحالات الحياتية الجديدة لان هذا الدين له خاصية اساسية يجب ان لا نغفل عنها ابدا وهيى ملايمته لكل الظروف بدون خروج عن حدوده الاصلية وصلوحيته لكل الاجيال والاقاليم والاخلاق ـ ومن الغلط ان نعتقد ان المذاهب الاربعة المضبوطة من حيث شكلها هيى قواعد مؤبدة تقضى على الاسلام بالانكماش والجمود بل انها قابلة للانطباق على نواميس الحياة العصرية ولا يصعب التوفيق بينها وبين

المدنية الحديثة - ذلك لان سنة النبي تمثل تلك الصفة العالية التي اختص بها الاسلام الا وهي ملايمته لجميع الشعوب والاجناس مهما اختلفت منازلها والوانها الا انه يجب على الباحث الاروبي ان يجتنب الآراء الضالة والاغلاط النفسانية الناشئة عن عدم فهم السنة على حقيقتها ولذلك تحتم على حكومة الخلافة اليوم الغاء كل ما قيل او قرر في الاسلام بعد عهد الخلفاء الراشدين ولا اقصد بذلك انه يجب اعدام او اهمال او مس هيكل العلم الاسلامي الذي وهب العالم اكثر القوانين دواما وادقها من عدة وجوه ولكن حيث ان حكومة الخلافة سنية بكل معنى الكلمة فانها تستفيد من آثار كل المشرعين الذين منهم الائمة الاربعة وتسلخ منها ما تراه موصلا لنهوض الامم الاسلامية وسلما ترقى به للحياة والمدنية العصرية »

ومن هنا انتقل المؤلف الى درس مسألة الجهاد على اختلاف اطوارها وشروطها فقال ان الحرب مستحيلة قانونا بين الافراد والامم التي لها اتفاقات مع المسلمين وان عقد معاهدات معهم طبق اصول الشريعة المطهرة تضمن لنا السلم المطلق مع كافة اشياع النبي الكريم (صلعم) المنتشرين في العالم اجمع الخاضعين لتعاليم الكتاب والسنة المحمدية » ثم بسط القول على اركان الاسلام التي يجب على الدول الغربية احترامها وبالاخص الحج الى البيت الحرام وختم كتابه البليغ بشرح مسألة الخلافة ودار الاسلام فقال « لا يمكن ان تحل مسألة الخلافة حلا اروبيا لانها مسألة دينية بحتة وليس لغير المسلمين حق في فصلها وانهائها ولا يجوز لاروبا المسيحية حملهم على تسويتها او اكراههم على ذلك بوجه من

الوجوه وعلى كل حال فالخليفة يجب ان يكون حراً بدار الاسلام الامر الذي يستلزم استقلال المدن المقدسة الثلاث وهي مكة والمدينة والقدس وكذا الاستانة العلية عن كل سلطة مسيحية - وليست المشاكل التي ظهرت بالشرق اثر معاهدة سيفر الانتيجة تعامي انجلترا عن التصديق بهذا المبدأ المسلم » ومن هنا تخلص الدكتور انسباطو الى ابداء رايه في السياسة التي ينبغي سلوكها مع المسلمين فحقق ان سياسة التآخي وتبادل المصلحة ممكنة بينهم وبين النصارى لان الفروق الدينية الفاصلة بينهم لا توجب التباغض والعداء لان التباين في تصور الحياة ومظاهرها - لا يمنع الثقة والمودة بين الامم - كما اكد وجوب الاعتراف بيقضة المسلمين وباحقية تطلعهم الى الرقي العلمي والاجتماعي قائلا ان انتباههم امر طبيعي وفي مقدرتهم ومن واجبهم الاشتراك معنا في سبيل المدنية العامه وان يبذلوا لهذه الغاية من الكد والاجتهاد ما بذلوه في صفوفنا مدة الحرب من الشجاعة والاقدام ويرى الكاتب ان تحقيق هذه الاماني لا يتم الا بواسطة الطبقة المنورة من المسلمين تلك الطبقة العديدة الافراد المنتشرة في كافة البلاد الشرقية التي تقاسي من العذاب الوانا بسبب الظروف الاجتماعية الحرجة المحاطة بها لحد الآن . فاذا انجدنا هؤلاء المفكرين وايدنا رغائبهم فاننا نجد منهم اثمن مساعدة سياسية »

ويعتقد الدكتور انسباطو انه يجب للحصول على ذلك ان نساعدهم على درس مؤلفاتهم بطريقة عصرية وان نفتح لهم ابواب المدنية الغربية لانهم سيكونون دعائم السياسة الاسلامية واكبر العاملين لانهاض

المجتمع الاسلامي لفائدتهم ولفائدة الامم الاروبية المشرفة عليهم لاضدها ـ ولكن هذا يتوقف على ان تدرك اروبا المسيحية ان واجبها يقضي عليها باضاءة العالم الاسلامي بنور المدنية والعرفان اذ لا سبيل لان نجد بين المسلمين اشياعا متفانين في مصلحتنا بالوسائط التي استعملتها اروبا لحد الان كالتجنيد الجبري وبث الدعوة بالصور والنشريات واستخدام اعوان لا هم لهم الا اكتساب المال او امتلاك الذمم بوسائل الارشاء على اختلاف انواعها لان الامم الاسلامية لا يمكن لها ولا ترضى ان تقبل بالتضحية لغاية مغايرة للغاية التي ترمى اليها وهنا اضع القاعدة الاساسيه لاتفاقنا مع الاسلام راجيا ان تسمع نصيحتي هذه وان تكون كقانون ثابت لا يتبدل وهي ان تسمح اروبا للمسلمين بان يعملوا لصالحهم ولصالح الاسلام . ويومئذ يصبح الاسلام ليس المساعد المهم في اعمالنا التمدينية فقط بل الصديق والحليف الذي يقلب بيقينه المكين العوالم ويحرك الجبال »



عمرية حافظ

في هذه المدة الاخيرة ظهر بعالم المطبوعات قصيدة عصماء من نسيج القريحة الحافظية البديع تداولتها كافة النوادي الادبية الشرقية واحلتها محلها من العناية بالنقد والتقريظ . فعني محمد محمود باشا مدير البحيرة « عامل » بطبعها منفردة على نفقته وعهد بذلك الى عبد الحميد حمدي مدير مطبعة الصباح بالقاهرة

وقد رأينا من الواجب ان نتحف قراء « الفجر » بهذا الاثر النفيس الذي لم ينتشر بيننا ويجدر بكل واحد منا ان يقتنيه ويحيط به علمه ثم نذيله بما كتبه عليه شاعرنا المجيد السيد الشاذلي خزنه دار وقبل ذلك نقتطف لكم شيئا من مقدمة مدير المطبعة المشار اليه يبين منزلة تلك القصيدة قال : « وضع الشاعر الاجتماعي الكبير حافظ بك ابراهيم هذه القصيدة يتغنى فيها ببعض مناقب عمر بن الخطاب ثاني الخلفاء الراشدين واخلاقه . ولم يقصد الشاعر بقصيدته الى ان تكون قطعة تاريخية تضم بين دفتيها سيرة عمر واعماله . ولكنه اراد ان يصدر للناس مناقب واخلاق اعدل حاكم عرفه التاريخ الى اليوم ، فقد توافرت لعمر اخلاق لم تتوافر لحاكم غيره ، هذه الاخلاق والمناقب هي التي سودت عمر ومازته من غيره من الملوك والحكام . وهي التي خلدت اسمه في التاريخ مثلا حيا للعدل البالغ حد الكمال ، وللزهد الذي لم يشهد له العالم نظيرا ، مع الغيرة المتناهية على مصلحة الرعية وخيرها

اراد الشاعر ان يصور بعض هذه الاخلاق الجليلة لتكون قدوة في تربية اخلاق الناشئين فلم يكن من همه اذن ان يستوعب في قصيدته السيرة العمرية كلها ، ولا ان يفصل بعض حوادث عمر - ولكن بعض الناقدين اخذ « حافظا » بانه قصر في الرواية التاريخية ، وهؤلاء النقاد ولا شك نظروا الى ان القصيدة كانها

سيرة تاريخية . ولكنهم اذا نظروا اليها من الجهة التي من اجلها وضعها الشاعر تبين لهم ان نقدهم مبني على غير اساس . ــ ونقدة آخرون أخذوا « حافظا » باستهلاله بمقتل عمر . وهؤلاء ايضا متأثرون بفكرة الترتيب التاريخي ولكنهم متى علموا ان « حافظا » كان راثيا ومثنيا على عمر . لا مؤرخا سيرته ادركوا انه اصاب في استهلاله ليفجع ويستنزل غضب العالم على قاتل اعدل من حكم الناس

واذا كان هذا النوع من الشعر نادرا في اللغة العربية على ما فيه من الفوائد الكبيرة فانا نحييه بقلوب ملؤها الرجاء في ان يحذو الشعراء حذو « حافظ » ليكون لملكاتهم السامية ثمر طيب ينفع الناس ويغذو ارواحهم . هذا ولو لم يكن « لحافظ » في عمله الاخير الا تنبيه الشعراء الى طرق هذا الباب الجم الفائدة لكفاه ذلك فضلا يستدر عليه ثناء الناس وحمدهم » . قال « حافظ » حفظه الله :

حسب القوافي وحسبي حين أُلقيها * أني الى ساحة الفاروق أُهديها
لا هم هب لي بيانا استعين به * على قضاء حقوق نام قاضيها
قد نازعتني نفسي ان اوفيها * وليس في طوق مثلي ان يوفيها
فمر سري المعاني ان يواتيني * فيها فاني ضعيف الحالي واهيها

« مقتل عمر » ❀❀❀

مولى المغيرة لا جادتك غادية * من رحمة الله ما جادت غواديها
مزقت منه اديما حشوه همم * في ذمة الله عاليها وماضيها
طعنت خاصرة الفاروق منتقما * من الحنيفة في اعلى مجاليها
فأصبحت دولة الاسلام حائرة * تشكو الوجيعة لما مات آسيها
مضى وخلفها كالطود راسخة * وزان بالعدل والتقوى مغانيها
تنبو المعاول عنها وهي قائمة * والهادمون كثير في نواحيها
حتى اذا ما تولاها مهدمها * صاح الزوال بها فاندك عاليها
واها على دولة بالامس قد ملات * جوانب الشرق رغدا من اياديها

كم ظللتها وحاطتها باجنحة * عن اعين الدهر قد كانت تواريها
من العناية قد ريشت قوادمها * ومن صميم التقى ريشت خوافيها
والله ما غالها قدما وكاد لها * واجتث دوحتها الا مواليها
لو انها في صميم العرب قد بقيت * لما نعاها على الايام ناعيها
ياليتهم سمعوا ما قاله عمر * والروح قد بلغت منه تراقيها
لا تكثروا من مواليكم فان لهم * مطامعا بسمات الضعف تخفيها

«اسلام عمر» ❀❀❀

رأيت في الدين آراء موفقة * فانزل الله قرآنا يزكيها
وكنت اول من قرت بصحبته * عين الحنيفة واجتازت امانيها
قد كنت اعدى اعاديها فصرت لها * بنعمة الله حصنا من اعاديها
خرجت تبغي اذاها في محمدها * وللحنيفة جبار يواليها
فلم تكد تسمع الآيات بالغة * حتى انكفأت تناوي من يناويها
سمعت سورة طه من مرتلها * فزلزلت نية قد كنت تنويها
وقلت فيها مقالا لا يطاوله * قول المحب الذي قد بات يطريها
ويوم اسلمت عز الحق وارتفعت * عن كاهل الدين اثقال يعانيها
وصاح فيه بلال صيحة خشعت * لها القلوب ولبت امر باريها
فانت في زمن المختار منجدها * وانت في زمن الصديق منجيها
كم استراك رسول الله مغتبطا * بحكمة لك عند الرأي يلفيها

«عمر وبيعة ابي بكر» ❀❀❀

وموقف لك بعد المصطفى افترقت * فيه الصحابة لما غاب هاديها
بايعت فيه ابا بكر فبايعه * على الخلافة قاصيها ودانيها
وأطفئت فتنة لولاك لاستعرت * بين القبائل وانسابت افاعيها
بات النبي مسجى في حظيرته * وانت مستعر الاحشاء داميها

تهيم بين عجيج الناس في دهش * من نبأة قد سرى في الارض ساريها
تصيح من قال نفس المصطفى قبضت * علوت هامته بالسيف ابريها
انساك حبك طه انه بشر * يُجري عليه شؤون الكون مجريها
وانه وارد لا بد مورده * من المنية لا يعفيه ساقيها
نسيت في حق طه آية نزلت * وقد يذكر بالآيات ناسيها
ذهلت يوما فكانت فتنة عمر * وثاب رشدك فانجابت دياجيها
فللسقيفة يوم انت صاحبه * فيه الخلافة قد شيدت أواسيها
مدت لها الاوس كفا كي تناولها * فمدت الخزرج الايدي تباريها
وظن كل فريق ان صاحبهم * اولى بها واتى الشحناء آتيها
حتى انبريت لهم فارتد طامعهم * عنها واخى ابو بكر أواخيها

« عمر وعلي » ❀❀❀

وقولة لعلي قالها عمر * اكرم بسامعها اعظم بملقيها
حرقت دارك لا ابقي عليك بها * ان لم تبايع وبنت المصطفى فيها
ما كان غير ابي حفص يفوه بها * امام فارس عدنان وحاميها
كلاهما في سبيل الحق عزمته * لا تنثني او يكون الحق ثانيها
فاذكرهما وترحم كلما ذكروا * اعاظما الهوا في الكون تأليها

« عمر وجبلة بن الايهم » ❀❀❀

كم خفت في الله مضعوفا دعاك به * وكم اخفت قويا ينثني تيها
وفي حديث فتى غسان موعظة * لكل ذي نعرة يأبى تناسيها
فما القوي قويا رغم عزته * عند الخصومة والفاروق قاضيها
وما الضعيف ضعيفا بعد حجته * وان تخاصم واليها وراعيها

« عمر وابو سفيان » ❀❀❀

وما اقلت ابا سفيان حين طوى * عنك الهدية معتزا بمهديها

لم يغن عنه وقد حاسبته حسب * ولا معاوية بالشام يجبيها
قيدت منه جليلا شاب مفرقه * في عزة ليس من عز يدانيها
قد نوهوا باسمه في جاهليته * وزاده سيد الكونين تنويها
في فتح مكة كانت داره حرما * قد امن الله بعد البيت غاشيها
وكل ذلك لم يشفع لدى عمر * في هفوة لابي سفيان ياتيها
تالله لو فعل الخطاب فعلته * لما ترخص فيها او يجازيها
فلا الحسابة في حق يجاملها * ولا القرابة في بطل يحابيها
وتلك قوة نفس لو اراد بها * شم الجبال لما قرت رواسيها

«عمر وخالد بن الوليد» ❀❀❀

سل قاهر الفرس والرومان هل شفعت * له الفتوح وهل اغنى تواليها
غزا فابلى وخيل الله قد عقدت * باليمن والنصر والبشرى نواصيها
يرمي الاعادي بآراء مسددة * وبالفوارس قد سالت مذاكيها
ما واقع الروم الا فر قارحها * ولا رمى الفرس الا طاش راميها
ولم يجز بلدة الا سمعت بها * الله اكبر تدوي في نواحيها
عشرون موقعة مرت محجلة * من بعد عشر بنان الفتح تحصيها
وخالد في سبيل الله موقدها * وخالد في سبيل الله صاليها
اتاه امر ابي حفص فقبله * كما يقبل آي الله تاليها
واستقبل العزل في ابان سطوته * ومجده مستريح النفس هاديها
فاعجب لسيد مخزوم وفارسها * يوم النزال اذا نادى مناديها
يقوده حبشي في عمامته * ولا تحرك مخزوم عواليها
القى القياد الى الجراح ممتثلا * وعزة النفس لم تجرح حواشيها
وانضم للجند يمشي تحت رايته * وبالحياة اذا مالت يفديها
وما عرته شكوك في خليفته * ولا ارتضى امرة الجراح تمويها

فخالد كان يدري ان صاحبه * قد وجه النفس نحو الله توجيها
فما يعالج من قول ولا عمل * الا اراد به للناس ترفيها
لذاك اوصى باولاد له عمرا * لما دعاه الى الفردوس داعيها
وما نهى عمر في يوم مصرعه * نساء مخزوم ان تبكي بواكيها
وقيل خالفت يا فاروق صاحبنا * فيه وقد كان اعطى القوس باريها
فقال خفت افتتان المسلمين به * وفتنة النفس اعيت من يداويها
هبوه اخطأ في تأويل مقصده * وانها سقطة في عين ناعيها
فلن تعيب حصيف الرأي زلته * حتى يعيب سيوف الهند نابيها
تالله لم يتبع في ابن الوليد هوى * ولا شفى غلة في الصدر يطويها
لكنه قد رأى رأيا فاتبعه * عزيمة منه لم تثلم مواضيها
لم يرع في طاعة المولى خؤولته * ولا رعى غيرها فيما ينافيها
وما أصاب ابنه والسوط يأخذه * لديه من رأفة في الحد يبديها
ان الذي برأ الفاروق نزهه * عن النقائص والاغراض تنزيها
فذاك خلق من الفردوس طينته * الله اودع فيها ما ينقيها
لا الكبر يسكنها لا الظلم يصحبها * لا الحقد يعرفها لا الحرص يغويها

«عمر وعمرو بن العاص» ❋❋❋

شاطرت داهية السواس ثروته * ولم تخفه بمصر وهو واليها
وانت تعرف عمرا في حواضرها * ولست تجهل عمرا في بواديها
لم تنبت الارض كابن العاص داهية * يرمي الخطوب برأي ليس يخطيها
فلم يرغ حيلة فيما امرت به * وقام عمرو الى الاجمال يزجيها
ولم تقل عاملا منها وقد كثرت * امواله وفشى في الارض فاشيها

«عمر وولده عبد الله» ❋❋❋

وما وقى ابنك عبد الله اينقه * لما اطلعت عليها في مراعيها

رأيتها في حماه وهي سارحة * مثل القصور قد اهتزت اعاليها
فقلت ما كان عبد الله يشبعها * لو لم يكن ولدي او كان يرويها
قد استعان بجاهي في تجارته * وبات باسم ابي حفص ينميها
ردوا النياق لبيت المال ان له * حق الزيادة فيها قبل شاريها
وهذه خطة لله واضعها * ردت حقوقا فاغنت مستميحيها
ما الاشتراكية المنشود جانبها * بين الورى غير مبنى من مبانيها
فان نكن نحن اهليها ومنبتها * فانهم عرفوها قبل اهليها

«عمر ونصر بن حجاج» ***

جنى الجمال على نصر فغربه * عن المدينة تبكيه ويبكيها
وكم رمت قسمات الحسن صاحبها * واتعبت قصبات السبق حاويها
وزهرة الروض لولا حسن رونقها * لما استطالت عليها كف جانيها
كانت له لمة فينانة عجب * على جبين خليق ان يحليها
وكان انى مشى مالت عقائلها * شوقا اليه وكاد الحسن يسبيها
هتفن تحت الليالي باسمه شغفا * وللحسان تمن في لياليها
جززت لمته لما أوتيت به * ففاق عاطلها في الحسن حاليها
فصحت فيه تحول عن مدينتهم * فانها فتنة اخشى تماديها
وفتنة الحسن ان هبت نوافحها * كفتنة الحرب ان هبت سوافيها

«عمر ورسول كسرى» ***

وراع صاحب كسرى ان رأى عمرا * بين الرعية عطلا وهو راعيها
وعهده بملوك الفرس ان لها * سورا من الجند والاحراس يحميها
رآه مستغرقا في نومه فرأى * فيه الجلالة في اسمى معانيها
فوق الثرى تحت ظل الدوح مشتملا * ببردة كاد طول العهد يبليها
فهان في عينه ما كان يكبره * من الاكاسر والدنيا بايديها

وقال قولة حق اصبحت مثلا * واصبح الجيل بعد الجيل يرويها
امنت لما اقمت العدل بينهم * فنمت نوم قرير العين هانيها

«عمر والشورى» ***

يا رافعا راية الشورى وحارسها * جزاك ربك خيرا عن محبيها
ام يلهك النزع عن تأييد دولتها * وللمنية آلام تعانيها
لم انس امرك للمقداد يحمله * الى الجماعة انذارا وتنبيها
ان ظل بعد ثلاث رأيها شعبا * فجرد السيف واضرب في هواديها
فاعجب لقوة نفس ليس يصرفها * طعم المنية مرا عن مراميها
درى عميد بني الشورى بموضعها * فعاش ما عاش يبنيها ويعليها
وما استبد برأي في حكومته * ان الحكومة تغري مستبديها
رأي الجماعة لا تشقى البلاد به * رغم الخلاف ورأي الفرد يشقيها

«مثال من زهده» ***

يا من صدفت عن الدنيا وزينتها * فلم يغرك من دنياك مغريها
ماذا رأيت بباب الشام حين رأوا * ان يلبسوك من الاثواب زاهيها
ويركبوك على البرذون تقدمه * خيل مطهمة تحلو مرائيها
مشى فهملج مختالا براكبه * وفي البراذين ما تزهى بعاليها
فصحت يا قوم كاد الزهو يقتلني * وداخلتني حال لست ادريها
وكاد يصبو الى دنياكم عمر * ويرتضي بيع باقيه بفانيها
ردوا ركابي فلا ابغي بها بدلا ردوا ثيابي فحسبي اليوم باليها

«مثال من رحمته»

ومن رآه امام القدر منبطحا والنار تأخذ منه وهو يذكيها
وقد تخلل في اثناء لحيته منها الدخان وفوه غاب في فيها
رأى هناك امير المؤمنين على حال تروع لعمر الله رائيها

يستقبل النار خوف النار في غده * والعين من خشية سالت مآقيها

« مثال من تقشفه وورعه »

ان جاع في شدة قوم شركتهم * في الجوع او تنجلي عنهم غواشيها
جوع الخليفة والدنيا بقبضته * في الزهد منزلة سبحان موليها
فمن يباري ابا حفص وسيرته * او من يحاول للفاروق تشبيها
يوم اشتهت زوجه الحلوى فقال لها * من اين لي ثمن الحلوى فاشريها
لا تمتطي شهوات النفس جامحة * فكسرة الخبز عن حلواك تجزيها
وهل يفي بيت مال المسلمين بما * توحي اليك اذا طاوعت موحيها
قالت لك الله اني لست ارزؤه * مالا لحاجة نفس كنت ابغيها
لكن اجنب شيئا من وظيفتنا * في كل يوم على حال اسويها
حتى اذا ما ملكنا ما يكافئها * شريتها ثم اني لا اثنيها
قال اذهبي واعلمي ان كنت جاهلة * ان القناعة تغني نفس كاسيها
واقبلت بعد خمس وهي حاملة * دريهمات لتقضي من تشهيها
فقال نبهت مني غافلا فدعي * هذي الدراهم اذ لا حق لي فيها
ويلي على عمر يرضى بموفية * على الكفاف وينهى مستزيديها
ما زاد عن قوتنا فالمسلمون به * اولى فقومي لبيت المال رديها
كذاك اخلاقه كانت وما عهدت * بعد النبوة اخلاق تحاكيها

« مثال من هيبته »

في الجاهلية والاسلام هيبته * تثني الخطوب فلا تعدو عواديها
في طي شدته اسرار مرحمة * للعالمين ولكن ليس يفشيها
وبين جنبيه في اوفى صرامته * فؤاد والدة ترعى ذراريها
اغنت عن الصارم المصقول درته * فكم اخافت غوي النفس عاتيها
كانت له كعصى موسى لصاحبها * لا ينزل البطل مجتازا بواديها

اخاف حتى الذراري في ملاعبها * وراع حتى الغواني في ملاهيها
ارأيت تلك التي لله قد نذرت * انشودة لرسول الله تهديها
قالت نذرت لئن عاد النبي لنا * من غزوه لعلى دفي اغنيها
ويممت حضرة الهادي وقد ملات * انوار طلعته ارجاء ناديها
واستأذنت ومشت بالدف واندفعت * تشجي بالحانها ما شاء مشجيها
والمصطفى وابو بكر بجانبه * لا ينكران عليها من اغانيها
حتى اذا لاح عن بعد لها عمر * خارت قواها وكاد الخوف يرديها
وخبأت دفها في ثوبها فرقا * منه وودت لو ان الارض تطويها
قد كان حلم رسول الله يؤنسها * فجاء بطش ابي حفص يخشيها
فقال مهبط وحي الله مبتسما * وفي ابتسامته معنى يواسيها
قد فر شيطانها لما رآى عمرا * ان الشياطين تخشى بأس مخزيها

«مثال من رجوعه الى الحق»

وفتية ولعو بالراح فانتبذوا * لهم مكانا وجدوا في تعاطيها
ظهرت حائطهم لما علمت بهم * والليل معتكر الارجاء ساجيها
حتى تبينتهم والخمر قد اخذت * تعلو ذؤابة ساقيها وحاسيها
سفهت آراءهم فيها فما لبثوا * ان اوسعوك على ما جئت تسفيها
ورمت تفقيههم في دينهم فاذا * بالشرب قد برعوا الفاروق تفقيها
قالوا مكانك قد جئنا بواحدة * وجئتنا بثلاث لا تباليها
فأت البيوت من الابواب ياعمر * فقد يزن من الحيطان آتيها
واستأذن الناس ان تغشى بيوتهم * ولا تلم بدار او تحييها
ولا تجسس فهذي الآي قد نزلت * بالنهي عنه فلم تذكر نواهيها
فعدت عنهم وقد اكبرت حجتهم * لما رأيت كتاب الله يمليها
وما انفت وان كانوا على حرج * من ان يحجك بالآيات عاصيها

«عمر وشجرة الرضوان»

وسرحة في سماء السرح قد رفعت * ببيعة المصطفى من رأسها تيها
أزلتها حين غالوا في الطواف بها * وكان تطوافهم للدين تشويها

«الخاتمة»

هذي مناقبه في عهد دولته * للشاهدين وللاعقاب احكيها
في كل واحدة منهن نابلة * من الطبائع تغذو نفس واعيها
لعل في امة الاسلام نابتة * تجلو لحاضرها مرآة ماصيها
حتى ترى بعض ما شادت اوائلها * من الصروح وما عاناه بانيها
وحسبها ان ترى ما كان من عمر * حتى ينبه منها عين غافيها

وهذا نص التذييل ❀ ❀ ❀

قل هكذا الشعر ترتاح النفوس له * وهكذا الشعرآ تبني قوافيها
ما الشعر الا الشعور المحض تبعثه * نفس الحقائق روحا في معانيها
حتى يريك من الاشيآ دقائقها * كالشمس تبدو المراءي في تجليها
هذا وفي ما لديكم من شواهده * ما كان يغني عن التبيان راويها
هذي القصيدة تنبيكم طلاوتها * عن حافظ الشعر ابراهيم منشيها
كم بينات من الآيات قد حفظت * لحافظ ولسان الدهر تاليها

❀ ❀ ❀

ناجى الضمير فاوحى بالمهم له * فيما يقصه تذكيرا وتنبيها
وخاض بالفكر اعماق العصور على * يتيمة الدهر بحثا عن لئاليها
وكم لنا من يتيمات تشابهها * كواكب الافق لالآء وتحكيها
فجاء للناس بالعقدين في نسق * ابيات شعر وما ادراك ما فيها
فيها الخليفة ثاني الراشدين ابو * حفص وناهيك بالفاروق تنويها
العدل يعرفه والفضل يعلمه * والدين نزهه في الناس تنزيها

صدر الشريعة من جدواه منثلج ❁ مذ طالما وافقت في الرأي مجريها
قد قام يرثيه بين المسلمين وان ❁ طال المدى عنه والايام ترثيها
يرجو بذكره والتاريخ موعظة ❁ احياء قومه فليحي ليحييها

(محمد الشاذلي خزنه دار)



مطبوعات جديدة

الهلال التونسي - جريدة سياسية ادبية علمية اقتصادية تصدر يوم السبت من كل اسبوع بحاضرة تونس لصاحبها ومدير سياستها السيد محمد بطيخ وقد تصفحنا ما برز من أعدادها فالفيناها ذات نزعة وطنية وفكرة استقلالية ومحل ادارتها بنهج الحلفة عدد ٤٠ فنرحب بهذه الرصيفة وندعو لها بالنجاح



النديم - صحيفة فكاهية اخلاقية تصدر كل يوم سبت بحاضرة تونس لمديرها ومحررها وصاحب امتيازها السيد حسين الجزيري وهو ذلك الكاتب البليغ الذي تعرف الامة التونسية مواقفه العديدة في النضال عنها وارشادها لمسالك الرقي بما كان يحبره في كثير من الصحف من الفصول الرائقة الجدية والهزلية فاهلا وسهلا بالرصيفة الجديدة التي لانشك في اقبال الامة عليها لاخلاصها في خدمة الوطن المفدى ومحل ادارتها بنهج باب سويقة عدد ١٧١



الامة - جريدة تعمل لاعلاء الوطن وتبحث في السياسة والادب تصدر يوم الاحد من كل اسبوع بحاضرة تونس لمديرها السيد الحاج علي ابن مصطفى وصاحب امتيازها السيد عبد العزيز المحجوب وقد قرانا ما نشر من اعدادها فوجدنا تحريرا راقيا وفكرا ثاقبا ورأيا صائبا تتفجر اعمدتها بالمواضيع الهامة والفصول المفيدة . ومحل ادارتها بنهج سيدي ابن عروس عدد ٦٦ فنرحب بهذه الرصيفة المعتبرة وندعو لها بالنجاح

تونس الاشتراكية ، Tunis - Socialiste برزت هذه الجريدة في حاضرة تونس باللغة الفرنسية في غرة مارس الفارط لتكون لسان الدرجة الثانية من الحزب الاشتراكي بتونس وذلك اثر انقسام الشعبة الاشتراكية بها لقسمين ودخول جريدة « المستقبل الاشتراكي » الغراء للدرجة الثالثة اتباعا للاغلبية التي نالته هذه الدرجه هنا وفي المؤتمر الاشتراكي الذي انعقد في مدينة تور بفرنسا ونحن نرحب بالرصيفة الجديدة التي سيتعزز بها جانب الحرية الدستورية في البلاد التونسية ونحث مواطنينا على معاضدتها بمطالعتها والاشتراك فيها ومحل ادارتها بنهج الجزيرة عدد ١١



زقاء الديك التونسي . Chantecler de Tunis ـ جريدة انتقادية سياسية مستقلة تصدر يوم الاحد من كل اسبوع بحاضرة تونس باللسان الفرنسي مديرها السياسي م . جوڤان ومدير ادارتها م مزوغي ومحل ادارتها نهج اثينا عدد ١٧ وقد تصفحنا ما صدر من اعدادها فالفيناها محررة بلهجة حرة تمقت الاستيثار وتهزأ باهله



صدى الساحل ـ صحيفة سياسية اقتصادية ادبية تبحث في الشؤون الاجتماعية والاخلاقية وتعضد الامة في مطالبها ورغائبها الاصلاحية تصدر يوم الخميس من كل اسبوع بمدينة سوسة ونحن نرحب برصيفتنا الساحلية وندعو الامة لتعضيدها والاقبال عليها

حوادث الشهرين

لم تكن تنته مفاوضات لندرة في شان الاحوال الشرقية حتى قامت القوات اليونانية الضاربة ببورصة وولاية ازمير بحملة عامة على الجيوش الملية العثمانية مظهرة بتلك العملية عزم حكومة اثينا على حل مشكلتي تراكيا الشرقية وازمير بقوة السلاح وقد تمكنت عساكر بابولاس في باده الامر من التوغل في الاراضي التركية و من دحر الفرق العثمانية التي اعترضتها حتى خيل لبعضهم ان المليين اصبحوا في مركز حرج وانهم سيضطرون للجنوح الى التفاهم مع اليونان رأسا في مسألة الصلح ولكن الاقدار ابت الا تكذيب احلام اولئك الذين كانوا يعلقون املا على حركات اليونانيين فجاءت الاخبار مبشرة بانتصار الاتراك عليهم حول اسكي شهير انتصارا باهرا وبردهم على اعقابهم مسرعين بعد ان الحقوا بهم خسائر جمة بين قتلى وجرحى واسرى وغنموا منهم جانبا عظيما من الذخائر والاسلحة على اختلاف انواعها فكان لهذا الفوز الكبير وقع جسيم على الراي العام اليوناني فاخذت قيم الاوراق المالية تنحط بسرعة مهولة وتعالت اصوات المعترضين على سياسة الحكومة الحالية فعجلت وزارة قوناريس بتلافي الخطر الذي اصبح يهددها فعزلت قائد عموم الجيوش اليونانية واصدرت قرارا في تجنيد عدة اقسام من عساكر الرديف بنية حشدها الى ساحة القتال واذاعت على طريق الصحافة ان تفوق الاتراك عددا على القوات اليونانية وصعوبة طبيعة الجهات التي دار فيها القتال هما السببان اللذان اكرها جيوش قسطنطين على التقهقر الى مراكزها الاولى وانهم سيستانفون الحملة من جديد متى تمت تعبئة الفرق التي اخذ في تدبيرها اركان الحرب بنشاط وهمة الخ ما راج من هذه الاخبار الا ان القائد العام العثماني لم يترك لاعدائه الوقت اللازم على زعمهم لاستكمال عدتهم وعددهم فامر عساكره بالسير الى الامام فلم تمض الا ايام قلائل حتى احدقت ببلاد بورصة من ثلاث جهات ودحرت

اليونانيين من اشاك ثم الهشير من جهة ولاية ازمير بعد مقاتلة عنيفة انهزم فيها الجيش اليوناني شر هزيمة وترك في ايدي الاتراك عددا كبيرا من الاسرى والمدافع وقد جاءت الانباء الاخيرة مؤيدة بان الواجهة اليونانية خرقت وان الفرق اليونانية اصبحت مجبورة بحكم الضرورة على اخلاء مراكزها الحالية خوفا من قطع خط الرجعة عليها

هذه خلاصة الحوادث الحربية التي حصلت خلال الشهر الماضي ببلاد الاناضول وهي كما يرى القاري موجبة لسرور الاتراك خصوصا والامم الاسلامية عموما وانقباض اعدائهم الذين اعمى كبراءهم الطمع والشره الذميم عن ادراك مصالح قومهم الحقيقية ففضلوا خدمة سياسة الغير على سياسة بلادهم انقيادا الى عواطف حركها فيهم ذكر ماض خلا وتاريخ انقرض وما دروا ان انكلترا وهي - التي لجئنا اليها - ليس في إمكانها الاستمرار على تأييدهم بالاصفر الرنان متى تحققت (ونظن انها بدأت تتحقق) عجزهم عن اتمام المامورية العسرة التي القتها على عواتقهم خصوصا وان المسلك الذي انتحلته لنفسها اثر الحرب الاروبية الاخيرة لم يات بالنتيجة التي كانت تتوقعها وهي اخماد نار الهيجان الذي ظهر بالهند بين المسلمين قبيل عقد اتفاقية سيفر واجماعهم على المطالبة باحترام حقوق الخلافة وصيانة الاراضي المقدسة من كل سلطة اجنبية وذلك بالقضاء على البقية الباقية من تركيا بتقسيمها بين الدول وحصر الشعب العثماني بمرتفعات الاناضول والاستيلاء على الآستانة العلية التي يعدها المسلمون كعبة آمالهم الدينية غير ان الحوادث التي تكررت منذ سنة سواء بالهند او بالديار التركية ستلزم انجلترا بتغيير تلك الخطة العقيمة حيث اتضح للعيان ان تاثير اتفاقية سيفر لم يزد مسلمي الهند وغيرهم الا اتحادا وتصلبا وارتباطا بالاحزاب المضادة للسلطة البريطانية وهذا ما يدعو حكومة سان جام للتفكر في عواقب سياستها الحالية اذ لا يعقل انها تجازف بمصلحة المملكة لتاييد فكرة سياسة ضالة اثبتت الحوادث التي توالت بالشرق استحالة تنفيذها . نقول

ذلك لعلمنا بحذق ونباهة رجال سياسة بريطانيا الذين اعتادوا تحكيم العقل والتجربة في الامور السياسية بدل العواطف والاحساسات ودليلنا على ذلك جنوح انجلترا الى التفاهم مع الشعب المصري على قاعدة الغاء الحماية والتحفظات التي ابداها قادته في مشروع اللورد ملنر ولا شك ان المسالة المصرية دخلت اليوم بفضل قرار حكومة لندرة دورها النهائي وان الامة النبيلة التي ادهشت العالم باتحاد كلمتها وثبات موقفها وقوة حجة نوابها لا تلبث ان تنال ثمرة جهادها الصادق في سبيل الحرية والاستقلال

من اهم المسائل التي شغلت عقول اصحاب الحل والعقد بحكومات المتحزبين مسألة التعويضات التي التزمت بها المانيا في اتفاقية فرساي ولم تقم بغالبها لحد هذا اليوم وهذا ما ادى مجلس وزارة فرنسا الى النظر في اساليب الاكراه التي يجب اتخاذها تجاه امتناع حكومة المانيا من الوفاء بما تعهدت به وقد انعقد منذ بضعة ايام مجلس عال بلندرة متركب من رؤساء حكومات المتحزبين للبحث في هذه العقدة العويصة الا انه لم يستقر راي نهائي الى الآن في شانها حيث فرنسا ترى انه لم يبق سبيل لامهال المانيا على اداء ما ترتب بذمتها وان اوفق مسلك لجبر هذه الاخيرة على الخلاص هو احتلال عدة نقط معتبرة من ترابها اهمها مقاطعة الروهر ذات المناجم الفحمية الغنية والمصانع العديدة بينما انكلترا لم تزل مترددة بين طرق الغصب والمسالمة مراعاة لما لارباب الاموال واصحاب المعامل بمملكتها من المصالح الوطنية بالمانيا على ان جمهورية الممالك المتحدة وان لم ترض بالتوسط الفعلي بين جرمانيا والحلفاء الا انها تستنكر احتلال مقاطعة الروهر وايقاف الحركة العملية بتلك الديار والمظنون حسبما نقلته الينا شركات الاخبار اخيرا انهم سيتفقون على وجه متوسط بين الفكرتين الفرنسوية والانكليزية يقتضي امهال المانيا لمدة وجيزة ريثما تقدم اقتراحات مقبولة بدون ان تعطل الاجراءات العسكرية التي سيقوم بها الجيش الفرنسوي ، هذا ما اتصل بنا من الاخبار الى اليوم وسيكشف لنا المستقبل كيف تسوى هذه المشكلة الخطيرة وان غدا لناظره قريب